

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ

مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ

المهندس
عبد
الرفاعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفُرْ

بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فَصَّلَتْ ٥٣]

.. نواميس الله تعالى وسننه التي لا تبدل ولا تتغير في كتابه المنشور (الكون) ، يرفع الله تعالى الغطاء عنها للبشر جيلاً بعد جيل ، وبشكل تصاعدي مع تطور الحضارات البشرية ، لدرجة تصل بها البشرية إلى اليقين الكامل أن كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) حق من عنده جلّ وعلا ، كون كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) يحمل بظاهر صياغته اللغوية وباطنها ، جذور هذه النواميس ..
.. فاكتشاف الحقائق الكونية في الأفاق والأنفس ، ورؤية حمل القرآن الكريم لها ، هو تبيان للبشر أن منزل القرآن الكريم هو ذاته خالق هذا الكون ..

.. في سياق هذا البحث سنتناول بإذن الله تعالى مسألة هامة للغاية ، هي مسألة خلق الإنسان ، ما بين كتاب الله تعالى المنشور ، وكتاب الله تعالى المقروء .. فهذه المسألة خاض بها الخائضون بنوايا مختلفة ، لكن بالنتيجة معظمهم أساء لدلالات كتاب الله تعالى ، إمّا عن غير قصد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وإمّا عن قصد بهدف النيل من كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) ..

.. مسألة خلق الإنسان وتكاثره في هذا العالم ، لها تعلقها بخلق جسم أبي البشرية آدم عليه السلام ، وزوجته ، وبالهبوط الجسمي لهما كقيمة خلقية ، نتيجة أكلهما من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها ، وبعد ذلك لها تعلقها بناموس التكاثر الذي يحكم حركة الحياة في هذا العالم ، كون الجسم البشري الذي تسكنه أنفسنا ، هو وريث ذلك الجسم الأوّل ..

.. ما يجب علمه أنّ قصّة الإنسان لم تبدأ بوجوده جسماً في هذه الأرض ، فالإنسان هو المخلوق الوحيد - في هذا الكون - المكوّن من ثنائية النفس والجسم ، والقرآن الكريم يبيّن لنا أنّنا (كأنفسٍ مجردةٍ عن هذا العالم المادّي) موجودون قبل سجود الملائكة لآدم عليه السلام (آدم النفس والجسم) ، وأنّ وجودنا - آنذاك - هو وجودٌ عاقلٌ ..

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

.. هذه الصورة القرآنية تبيّن لنا أنّ الله تعالى عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال - عرضاً غير إجباريٍّ - بغية حملها .. ودليلنا على أنّ هذا العرض - غير الإجباري - هو بغية حمل الأمانة .. دليلنا هو قوله تعالى ﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا ﴾ .. وقد بيّنت في كتاب قصّة الوجود أنّ الأمانة المعروضة هي خلافة الله تعالى في عالم الأسباب ، بمعنى : إعطاء حرية الاختيار من طاعة وعصيان ، وذلك في عالم الأسباب المادية الحسيّة

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣

.. ومن هنا نرى - بهذه الخصوصية من التكليف في عالم الحس - استثناء عالم الجن ،
المكلف في عالم آخر غير عالم المادة والحس الذي تنتمي إليه أجسامنا ..
.. فمسألة عرض الأمانة على المخلوقات وانفراد الإنسان بحملها ، لم ترد في كتاب الله
تعالى إلا في هذه الآية الكريمة ، لذلك فهذه الآية ، هي مسألة كاملة ..

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحراب : ٧٢] = ٥١٣ =
٢٧ × ١٩

وَمَا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ .. أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - وَبَعْدَ أَنْ اخْتَارَ الْإِنْسَانَ (النَّفْسَ) حَمَلَ الْأَمَانَةَ -
أَخَذَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْفُسِ الْبَشَرِيَّةِ ، بَأَنَّهُ سَيُنزَلُ الْبَشَرَ مِنْ عَالَمِ الْأَنْفُسِ إِلَى عَالَمِ
الْمَشِيئَةِ (عَالَمِ الْجَزْئِيَّاتِ) ، لِيَمْتَحِنَهُمْ عِبْرَ أَجْسَامٍ مَادِّيَّةٍ ، يَتَوَالَدُونَ بِهَا مِنْ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ،
وَأَنْ غَرِقَهُمْ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْمَادِّي ، وَفِي التَّفَاعُلِ مَعَ الْجَزْئِيَّاتِ ، يَجِبُ أَلَّا يَجْعَلَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
عَنِ الْأَمَانَةِ الَّتِي تَمَّ تَعَهُدُهُمْ بِحَمْلِهَا ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ
تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ
﴿ [الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣] ﴾

.. فقولته تعالى : ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ ،
يُخْتَزَلُ الْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي آدَمَ فِي عَالَمِ الْأَنْفُسِ .. لِذَلِكَ .. مِنْ الطَّبِيعِيِّ
أَنْ تَتَكَامَلَ هَذِهِ الْعِبَارَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤

الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴿ [المائدة : ٧] ، الذي يطلب الله تعالى به من بني آدم أن يتذكروا ذلك الميثاق الذي أشهدهم به على أنفسهم ..

﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢]

= ٢٧١

﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

﴿ [المائدة : ٧] = ٤١٣

$$٣٦ \times ١٩ = ٦٨٤ = ٤١٣ + ٢٧١$$

.. الله تعالى يقول ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ .. والظهور

هو ظهور جميع أفراد بني آدم دون استثناء .. وكلمة ﴿ ظُهُورِهِمْ ﴾ هي من الجذر (ظ ، هـ ، ر) ، ودلالات هذا الجذر تعني : علا وبان وارتفع .. وهذه بعض النصوص القرآنية التي تبين ذلك ..

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وِلَا ذِمَّةٍ ﴾ [التوبة : ٨]

﴿ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة : ٤٨]

﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [الكهف : ٩٧]

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ [الروم : ٤١]

﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر : ٢٦]

﴿ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [الفتح : ٢٨]

﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [الصف : ١٤]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥

.. أمّا بالنسبة لورود بعض مشتقات هذا الجذر اللغوي ، كقيمة دلالية تتعلق بجزء من الجسد المادي ، وهو الجزء الحاوي للعمود الفقري ، فهذا من جهة الحيثية الخاصة بتعلقها بالسياق المحيط ، وهي في كلّ الحالات لا تخرج عن دلالات جذرها اللغوي .. مثلاً .. في قوله تعالى ..

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٦]

.. نرى أن السياق كلّ سياقٍ ماديٍّ حسيٍّ يتعلّق بالبقرة والغنم ككائنات ماديّة حسيّة ، أعلى منطقة في جسدها هي ظهورها .. فحتّى في هذا السياق المتعلّق بحيثية جسديّة ، لم تخرج كلمة ﴿ ظُهُورُهُمَا ﴾ عن دلالات جذرها اللغوي وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ وَقَالُوا هَذِهِمُ أَنْعَمُ الَّذِيْنَ أَحْرَقُوا حِجْرًا لَا يُطْعَمُونَ إِلَّا مَن شَاءَ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُوا حَرَّمْتَ ظُهُورَهُمْ وَأَنْعَمْتَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٨]

.. وكذلك في قوله تعالى ..

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزحرف : ١٢ - ١٣]

.. لكن .. في قوله تعالى ..

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٦

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ تَبَدَّ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠١]

.. هل من الممكن تصوّر المعنى بأنه محصورٌ بمسكهم لنسخة ماديّة من كتاب الله تعالى ، ثم قيامهم بقذفها للخلف ؟ .. أم أنّ المعنى هو إبعاد الحقّ (والاقرار به) الذي يحمله كتاب الله تعالى ، بعيداً عن ظاهر علمهم وما يرون به من دلالات ؟ .. بالتأكيد المعنى الثاني هو المراد .. وما يؤكّد ذلك أنّ السياق سياقٌ معنويٌّ يتعلّق بقيم روحية هي كتاب الله تعالى ، وتفاعلهم المعنوي معه .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ

وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

.. بعد هذا البيان .. لنعد إلى قوله تعالى ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ

﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤]

.. إسهاد الله تعالى لبني آدم على أنفسهم ، المحمول بهذا النصّ الكريم ، هو في عالم الأنفس .. وفي ذلك العالم لم تكن الأجسام مخلوقة ، فضلاً عن أنّه عالمٌ مختلف عن عالم الأجساد هذا الذي نعيش فيه .. فالسياق المحيط بكلمة ﴿ ظُهُورِهِمْ ﴾ هو سياقٌ يصفُ موقفاً في عالمٍ معنويٍّ غير مادي ..

.. من هنا نرى أن معنى العبارة القرآنية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، هو : وإذ حكم وأقرّ وتناول ربُّك ذرية بني آدم ، من خلال خروجهم من عالم الأنفس إلى عالم المادّة والمكان والزمان .. يخرجون من عالم الأنفس إلى هذا العالم ، من خلال الذريّة .. بمعنى : من خلال الذريّة يظهرون في هذا العالم المادّي الحسّي ، عبر إسكان أنفسهم في أجسامهم المنتمية لهذا العالم ..

.. فالله تعالى يقول : وإذ حكم ربُّك وأقرّ وتناول آليّة توالد بني آدم في عالمنا الحسّي هذا (ذريّة بني آدم) ، من خلال خروج أنفسهم من عالم الأنفس الذي أشهدهم فيه على هذه النفس ، إلى عالم الدنيا ، بإسكان هذه الأنفس في أجسامها .. بمعنى : من خلال ظهورهم من عالم الأنفس الذي أشهدهم على أنفسهم فيه (حيث لم يكونوا ظاهرين في عالمنا المادّي هذا) ، إلى عالمنا المادّي الحسّي هذا ، من خلال أجسام تقطنها هذه الأنفس .. من خلال ذلك .. حكم وتناول وأقرّ وجعل ناموساً لذلك ، هو مفهوم الذريّة ..

.. فلو أخذنا على سبيل المثال ، من لم يُخلَق بعد من بني آدم .. هؤلاء أنفسهم موجودة الآن في عالمها (عالم الأنفس) ، وهو عالم غير حسّي فلا نشاهده ولا نحسّه .. هؤلاء يخرجون من عالم الأنفس غير الحسّي إلى عالمنا تبعاً ، ويظهرون في عالمنا بأجسام ماديّة ، من خلال كون بعضهم من ذريّة بعض .. هذا ابن لفلان الذي هو ابن لفلان ، وهكذا .. وهذا الظهور بهذه الآليّة (الذريّة) ، هو بهدف امتحانهم في هذا العالم المادّي الحسّي الذي تنتمي إليه أجسامهم ، حيث اختاروا هم في عالم النفس قبل ظهورهم في هذا العالم ، اختاروا حمل الأمانة بأن لا يعصوا الله تعالى حينما يظهرون في هذا العالم الحسّي ويُعطون خلافة الله تعالى في هذه الأرض ، وحيث أشهدهم الله تعالى في عالم الأنفس على أنفسهم أن الله تعالى ربّهم ..

٨ المهندس عدنان الرفاعي ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾

.. إذا .. العبارة القرآنية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ،

تصوّر الحكم الإلهي بظهور أنفس جميع البشر كخلفاء لله تعالى في الأرض ، وذلك من خلال نزول تلك الأنفس في أجسام مادية .. لذلك .. تتكامل هذه العبارة القرآنية مع

الحكم الإلهي ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] ..

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] = ١٤٦

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف : ١٧٢] = ٢٥٣

$$٢١ \times ١٩ = ٣٩٩ = ٢٥٣ + ١٤٦$$

.. إذا .. كلمة ﴿ظُهُورِهِمْ﴾ في العبارة القرآنية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، لا تعني أنّ الحيوانات الجنسية (المني) التي تعتبر البذرة التي يتكوّن منها لاحقاً جسم الإنسان ، تخرج من منطقة من الجسم هي المتعارف عليه بالظهر .. أبداً .. هذا القول هو مفهوم بشري محكوم لروايات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، وُضِعَتْ افتراء وكذباً على الرسول ﷺ ، من خلال خلفيّة ثقافية كانت تحكم الأجيال الأولى ..

.. من هنا نرى كيف أنّ عابدي أصنام التاريخ ، الذين طلقوا عقولهم ، مقدّسين روايات التاريخ التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، على حساب دلالات كتاب الله تعالى .. نرى أنّهم الوجه الأوّل لعملة مفلسة ، وجهها الآخر هم عابدو أهوائهم وعصبيّاتهم ، الذين يريدون الإساءة لكتاب الله تعالى من خلال تلك الروايات ..

.. إذا .. الطعن بكتاب الله تعالى من خلال تفسير خاطئ معتمد على الموروث ، لقوله

تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، على أنّ الحيوانات

الجنسية (المني) تخرج من منطقة من الجسم هي المتعارف عليه بالظهر .. هو طعن ساقط

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٩

لا أساس له ، لأن دلالات هذه العبارة القرآنية لا تقول بذلك .. والطعن يجب أن يُوجَّه إلى الروايات المكذوبة ، والتفاسير الموروثة ، التي أصبحت (هي وعابدها) عبثاً ثقيلاً على كتاب الله تعالى ..

.. إذاً .. الدلالات المحمولة بقوله تعالى ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢]

.. تبيّن مرحلة إشهد الله تعالى لبني آدم على أنفسهم ، في عالم الأنفس ، قبل وجودهم الحسّي وخروجهم - عبر الذريّة - من عالم الأنفس إلى عالمي الذي تنتمي إليه أجسامنا ..

.. والحوار بين الله تعالى والملائكة ، حول جعل بني آدم خلفاء في الأرض ، وتعليم الله تعالى لآدم الأسماء كلّها .. كل ذلك كان في عالم الأنفس ، قبل خلق جسم آدم ، وقبل دخوله وزوجه الجنة ..

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُكُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة : ٣٠]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٠

.. الخليفة هو من يخلف غيره ، ويأخذ القوامة على موضوع الخلافة .. والبشر كانوا حتى تلك اللحظة أنفساً مجردةً عن عالم المادّة ، وبالتالي ليسوا خلفاءً على عالم الجزئيات .. فقوله تعالى للملائكة ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ يدلّ على أنّ الخلافة - حتى تلك اللحظة - لم تبدأ بعد ..

.. وفي تعلّق هذه المسألة بصفة الربوبية ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ ، حيث كلمة الربوبية ﴿ **رَبُّكَ** ﴾ واضحة جلية في ذلك .. في هذا التعلّق بيان أنّ موضوع الخلافة هو في ساحة الأسباب (المادّة والمكان والزمان) .. إذاً .. موضوع الخلافة هو ذاته موضوع حمل الأمانة التي عُرضت على السماوات والأرض والجبال ، وهو امتلاك القدرة على تسخير الأسباب ودفعها باتجاه المراد .. وقوله تعالى ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ ، يعني خلافة الإنسان (نفس + جسم) لله تعالى في الأرض .. فامتلاك القدرة على إدراك الجزئيات ، والعقل الذي يربط بين هذه الجزئيات وبين الكليات (امتلاك الإرادة والمشية معاً) ، لم يُعطَ لمخلوقٍ غير الإنسان ، هذا إضافة إلى أنّه لا يوجد أيُّ ذكْرٍ لأيِّ مخلوقٍ يخلفه الإنسان في سياق هذا النصّ .. ولذلك .. لا يُبرّر لبعضهم توهمه بأنّ هذه العبارة القرآنية تعني خلافة الإنسان لمخلوقٍ آخر ..

.. وقوله تعالى ﴿ **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ دليلٌ آخر على أنّ موضوع الخلافة التي سيعطيها الله تعالى للإنسان (نفس + جسم) ، هو هذه الأسباب المسخّرة بين أيدينا .. فسواءً الفساد أم سفك الدماء ، هما مسألتان مادّيتان ساحتهما هذا العالم المادّي المحسوس ، فليس من المعقول أن يُفسد الإنسان ويسفك الدماء خارج إطار ساحة المادّة والمكان والزمان ..

.. ومرتبة الوجود التي تم فيها الحوار بين الله تعالى وبين الملائكة ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا

﴿ مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ هي - كما رأينا في النظرية الثانية (القدر) - خارج

إطار المادة والمكان والزمان ، وفي هذه الحالة لا غطاء للزمن ، لأن الزمن وليد المادة وحركتها .. ولذلك رأت الملائكة ما يحصل الآن من فسادٍ ومن سفكٍ للدماء ، نتيجة رفع الله تعالى عنها غطاء الزمن المستقبل ، فقالت ، على سبيل الاستفسار لا الاحتجاج :

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ..

.. وفي هذه المرتبة من الوجود حيث الأنفس البشرية مجردة عن عالم المادة والمكان والزمان ، فإن آدم (النفس) لم يكن يعلم من صفات عالم الجزئيات (موضوع خلافة الإنسان لله تعالى) شيئاً ، وكذلك الملائكة التي تدرك الكليات ولا تدرك الجزئيات .. وكذلك كلُّ المخلوقات ، لأن امتلاك العقل لإدراك الجزئيات والانطلاق من هذا الإدراك نحو الكليات ، خاصٌ - من بين المخلوقات - بالإنسان (نفس + جسم) ، وهذا هو عطاء الله تعالى لمن سيجعله خليفة له في الأرض ..

.. ولذلك هيأ الله تعالى آدم النفس (قبل حلول هذه النفس في الجسم) لهذه الخلافة

.. فعلمه صفات الأشياء وخواصها وميزاتها ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .. وحينما

يقول الله تعالى ﴿ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، فهذا يعني الأسماء كلها ..

.. ولما كان هذا التعليم في عالم الأنفس المجردة ، ما فوق عالم المادة والمكان والزمان ،

فإنه بإلهام من الله تعالى دون أيّ زمنٍ .. فبلازمن تعلّم آدم (النفس) صفات كلّ الأشياء وخواصها (مسمياتها) .. ومن هنا ورث العقل البشري إمكانية تعلّم خواصّ المادة والتفاعل معها ، وإمكانية تسخيرها وفق مُراد النفس البشرية ..

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٢

.. وقوله تعالى ﴿ثُمَّ عَرَضْنَاهُمْ عَلَى أَلْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿بيِّن لنا أنَّ الله تعالى عرض على الملائكة الأشياء (أصحاب الأسماء) التي علَّم أسماءها لآدم عليه السلام .. وكلمة ﴿عَرَضْنَاهُمْ﴾ واضحة في تبيان ذلك .. وفي هذا دليلٌ آخر على أنَّ موضوعَ خلافة الإنسان لله تعالى هو القوامة على هذه الأسباب ، بغية تسخيرها ودفعها باتِّجاه مُراد الحقّ .. وفي هذا دليلٌ آخر - أيضاً - على أنَّ الله تعالى رفع غطاء الزمن المستقبل ، فرأت الملائكة الأشياء التي ستكون حتى قيام الساعة ، والتي منها أعمالُ الفساد وسفكُ الدماء ، التي استفسرت عنها الملائكة ، حيث قالت ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ..

وقوله تعالى ﴿قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ، بيِّن لنا عجز الملائكة عن إدراك الجزئيات (موضوع الخلافة وموضوع حمل الأمانة) ، وبالتالي بيِّن لنا عدم قدرة الملائكة على إدراك صفات الأشياء كجزئيات ، وأنَّ علم الملائكة وإدراكها هو للكليات ، وتعليم مباشر من الله تعالى ..

وقوله تعالى ﴿قَالَ يَتْلُوا صُورًا بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ

إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يؤكد لنا - من جديد - أنَّ امتلاك معرفة صفات الأشياء ، والتفاعل مع الجزئيات للانطلاق منها -

عقلاً - نحو الكليات ، هو موضوع الخلافة التي أعلمها الله تعالى للملائكة ﴿وَإِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ..

.. والعبارة القرآنية ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ تبيِّن

لنا كشفَ غطاءِ غيب الزمن المستقبل أمام الملائكة ، حينما رأت أصحابَ المسميات التي

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾

عَلَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَمَا سَيَكُونُ مِنْ أَشْيَاءٍ ، وَمِنْ تَفَاعُلٍ لِلبَشَرِ مَعَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، هُوَ غَيْبٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَوْ لَمْ يَرْفَعِ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ غَطَاءَ غَيْبِ الزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ ، لَمَا رَأَتْ ذَلِكَ ..
 .. وَدَلِيلٌ آخَرَ عَلَى أَنَّ أَمَانَةَ التَّكْلِيفِ الَّتِي عُرِضَتْ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ (وَكَذَلِكَ خِلَافَةُ الْإِنْسَانِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ) هِيَ امْتِلَاكُ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّفَاعُلِ مَعَ الْأَسْبَابِ (الْجَزَائِيَّاتِ) ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ تَسْوِيْتِهِ جَسْمًا إِنْسَانِيًّا حَيًّا (نَفْسٌ + جَسْمٌ) ، وَبَعْدَ نَفْخِ الصَّلَةِ وَالْقُرْبَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى (الرُّوحِ) فِيهِ ، وَلَيْسَ قَبْلَ ذَلِكَ ..

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر : ٢٩]

.. فَحَمَلُ الْأَمَانَةِ الْمَعْرُوضَةِ أَدَّى إِلَى الْخِلَافَةِ ، وَالْخِلَافَةُ وَالْامْتِحَانُ فِي حَمْلِ الْأَمَانَةِ بَدَأَ بَعْدَ هَبُوطِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى عَالَمِ الْمَادَّةِ ، وَبَعْدَ الدُّخُولِ فِي الْجَسْمِ ..
 .. وَالْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ لِلْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالَّذِي هُوَ أَمْرٌ لَهُمْ بِالسُّجُودِ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ (فِي آدَمَ) ، كَانَ قَبْلَ مَعْصِيَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .. وَبِالتَّالِيِ قَبْلَ خَطِيئَتِهِ الَّتِي هَبَطَ بِهَا وَخَرَجَ بِهَا مِنَ الْجَنَّةِ ..
 فَأَوَّلُ امْتِحَانِ خَلِيفَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ ، أُخْتِيرَ لَهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي جَنَّةِ الْاِخْتِبَارِ .. وَنَهَى اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِزَوْجِهِ بَعْدَ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي حَدَّدَهَا لَهُمَا ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ امْتِحَانٌ فِي سَاحَةِ الْمَادَّةِ وَالْأَسْبَابِ (عَالَمِ الْجَزَائِيَّاتِ) ..
 .. وَالْجَنَّةُ الَّتِي أُخْتِيرَ لِدُخُولِهَا آدَمَ وَزَوْجَهُ ، لَيْسَتْ جَنَّةَ الثَّوَابِ الَّتِي يَدْخُلُهَا الصَّالِحُونَ فِي الْآخِرَةِ ، وَقَدْ بَيَّنَّتْ ذَلِكَ بِالتَّفْصِيلِ فِي كِتَابِ : قِصَّةِ الْوُجُودِ ..
 .. وَنَرَى دَلِيلًا آخَرَ عَلَى أَنَّ سَاحَةَ الْخِلَافَةِ وَسَاحَةَ الْأَمَانَةِ الْمَعْرُوضَةِ ، هِيَ سَاحَةُ الْمَادَّةِ وَالْأَسْبَابِ ، أَنَّ هَبُوطَ آدَمَ وَزَوْجِهِ مِنْ جَنَّةِ الْاِخْتِبَارِ ، هُوَ هَبُوطٌ فِي الْهَيْئَةِ وَالْخَلْقَةِ (فِي مَاهِيَّةِ الْجَانِبِ الْجَسْمِيِّ) .. فَآدَمُ وَزَوْجُهُ قَبْلَ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاها اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٤

، كانا لا تبدو لهما سوءاتهما ، وبدت لهما سوءاتهما بعد الأكل من تلك الشجرة ﴿ فَلَمَّا

ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَّ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ [الأعراف : ٢٢] .. فساحة الاختبار (الجنة التي

أمتحن فيها آدم وزوجه) مادية ، وعنصر الامتحان (الشجرة) مادي ، والنتيجة (

الهبوط في ماهية الخلق وصفات الجسم) مادية ..

.. فنتيجة لمعصية آدم عليه السلام وزوجه في جنّة الاختبار ، حيث ذاقا الشجرة التي

نُهاهما ربّهما عنها .. نتيجة لذلك ، تغيّرت الماهية الجسميّة لهما ، فبدت لهما سوءاتهما ..

﴿ فَذَلَّلْنَاهَا بِغُرُورٍ ﴾ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَّ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

مِنَ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴿ [الأعراف : ٢٢]

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَّ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ

وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه : ١٢١]

.. وفي العبارة القرآنيّة ﴿ فَذَلَّلْنَاهَا بِغُرُورٍ ﴾ ، نرى أنّ كلمة ﴿ فَذَلَّلْنَاهَا ﴾ هي من

الجذر اللغوي (د ، ل ، و) ، وليس من الجذر (د ، ل ، ل) ، وهذا يؤكد صحّة ما

نذهب إليه في وصف ماهية الهبوط الذي تمّ لأدم عليه السلام وزوجه .. فالدلالات المجردة

للجذر اللغوي (د ، ل ، و) في القرآن الكريم تحمل معنى الهبوط ، سواء كان ذلك في

الجانب المادي أم المعنوي :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ

أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٨]

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُهُ

بِضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف : ١٩]

.. فبواسطة الغرور ﴿بِغُرُورٍ﴾ ، هبط الشيطان بآدم عليه السلام وزوجه إلى المعصية

﴿ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ ، وبالتالي ذاقا الشجرة ، فهبطا كقيمة جسمية ..

.. ربّما يقول قائل : ما فائدة الغوص في ما سبق ، في سياق بحثٍ عنوانه يتعلّق بخلق

جسم الإنسان .. نقول : إدراك هذه المسائل يجعلنا ندرك حقيقة خلق الإنسان من ماء

مهين .. وعدم إدراكها هو ما أدّى للتخبّط الذي نراه في التفسير الموروث ، واستغلال

الآخرين له ، للطعن في كتاب الله تعالى ..

.. في كتاب الله تعالى ، نرى أنّ آدم وزوجه ومعهما كلّ الأنفس البشرية دون استثناء

، تلقت الحكم الإلهي بالهبوط من الجنّة .. بينما آدم وزوجه فقط أخرجهما الشيطان من

الجنّة ، نتيجة أنّه أزلّهما ..

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨﴾ فَتَلَقَىٰ

آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴿٩﴾ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا

﴿ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة : ٣٥ - ٣٩]

.. هناك هبوط ، بحكم من الله تعالى :] ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾

،، ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾] .. وهناك إخراج بسبب عصيان آدم وزوجه للأمر

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٦

الإلهي ، حيث أزلهما الشيطان بذلك ، فأخرجهما (الشيطان نتيجة اتباعهما لإزالته لهما من الجنة : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ..

.. الإخراج .. هو من الفعل المتعدّي (أخرج) ، وهو هنا إخراج من نعيم الجنة .. ولما كان آدم عليه السلام وزوجه هما فقط امتحنا في جنة الاختبار هذه ، نرى أنّ الإخراج من هذه الجنة جاء بصيغة المثني : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ، كونهما اثنين فقط .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى التالي ، وبذات حيثية الصياغة ، حيث المخرج من الجنة هو الشيطان ، نتيجة افتتان الإنسان به ، وحيث أنّ المخرج ، هما آدم وزوجه فقط ..

﴿ يَبْنِيْ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطٰنُ كَمَاۤ اُخْرِجَ اٰبٰوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾ [الأعراف : ٢٧]

.. بينما خروج الشيطان من هذه الجنة ، كان نتيجة تلقّيه لأمر مباشرٍ من الله تعالى بالخروج ﴿ أَخْرِجْ ﴾ ..

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرِجْ إِنَّكَ مِنَ الصّٰغِرِيْنَ ﴾ [الأعراف : ١٣]

﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف : ١٨]

﴿ قَالَ فَاخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيْمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر : ٣٤ - ٣٥]

﴿ قَالَ فَاخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيْمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص : ٧٧]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٧

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنية وإطلاقها .. فالشيطان لن يدخل جنة الآخرة أبداً ، لأنه خرج من جنة الاختبار (التي أختبر فيها آدم وزوجه) بأمرٍ إلهيٍّ ﴿ أَخْرَجَ ﴾ .. بينما الإنسان من الممكن له أن يدخل جنة الآخرة ، إن عمل في حياته الدنيا (التي يُختَبَرُ فيها) بعيداً عن إزالال الشيطان له .. فقد خرج من جنة الاختبار نتيجة إزالال الشيطان وفتنته له ..

.. بينما الهبوط الذي هو نزول بالكينونة ، نراه - في النصّ الذي بين أيدينا - هبوطين اثنين في القيمة المعنوية والجسميّة معاً ، تلقته كلُّ الأنفس البشرية بحكمٍ من الله تعالى .. فالعبارة : ﴿ وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ، تصوّر هبوطاً ، حاله أن يكونوا متعادين فيما بينهم والعبارة : ﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ ، نرى فيها كلمة : ﴿ جَمِيعًا ﴾ تبيّن حال المخاطبين المتلقين لحكم الهبوط هذا ، بأنهم جميعاً ودون استثناء سينالهم الهبوط ..

.. ومّا يؤكّد أنّ جميع البشريّة دون استثناء من آدم وزوجه إلى آخر إنسان يُخلق في هذا العالم ، مخاطبون بتلقّي حكم الهبوط هذا .. ممّا يؤكّد ذلك هو العبارات التالية مباشرة لهذه العبارة القرآنيّة ﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ ..

﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

.. وهذا ما نراه أيضاً في النصّين التاليين ..

﴿ قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٦﴾

الأعراف : ٢٤]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٨

﴿ قَالَ أَهَبْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأِمَّا يَا تَبْنٰكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ

أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿ طه : ١٢٣ - ١٢٤ ﴾

.. وإبليس هو الآخر تلقى أمراً بالهبوط ..

﴿ قَالَ فَأَهْبَطَ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَأَخْرَجَ إِنْكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾

[الأعراف : ١٣]

.. إذا .. جسم آدم الأول ، وقبل أكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى هو وزوجه عن الأكل منها ، لم يكن جسماً هابطاً .. فلم يكن يتغوَّط ، وكان جسمه بعيداً عن كل القذارات التي تخرج من أجسامنا الآن كالبول والخروج والقيح وكل الإفرازات القذرة .. ولو لم يعص آدم عليه السلام وزوجه أمر الله تعالى ، لما تغيرت الماهية الجسمية له ولزوجه ، ولما هبطت عن قيمتها التي كانت عليها ، بمعنى لما بدت لهما سوءاتهما ، وبالتالي لما ورثنا نحن بأجسامنا هذا الهبوط ، فترى ما نراه ممّا يفرز الجسم الإنساني من قذارات ..

.. ولمعرفة معنى هبوط القيمة الجسمية لآدم وزوجه - نتيجة هذه المعصية - وبالتالي لمعرفة معنى الهبوط الجسمي لبني آدم في حياتهم الدنيا ، لنقارن بين إنسان لا يغتسل ولا يقلّم أظافره ولا يخلق شعرة ولا يقوم بأيّ نوع من أنواع النظافة .. لنقارنه مع دابة ما ((لا تقوم بطبيعة الحال بكلّ هذه الأعمال لأنّ ماهية جسدها ليست بحاجة إلى كلّ ذلك)) .. سنجد في هذه المقارنة أنّ جسم الإنسان أكثر هبوطاً من غيره ..

.. إذا .. أكمل جسم بشريّ خلقه الله تعالى هو جسم آدم عليه السلام (قبل المعصية والهبوط) .. وهذا الجسم الإنساني الهابط (حيث الأمراض التي تصيب الجسم الإنساني أضعاف الأمراض التي تصيب أيّ دابة) ، وهذه الأعضاء التناسلية بماهيتها الدنيوية ، إنّما نشأت نتيجة تلك المعصية .. هذه المعصية وهذا الهبوط ، نتيجته الخروج من جنّة

الاختبار تلك .. ونتيجته التوالد - في هذه الحياة - من خلال الأعضاء التناسلية التي ظهرت نتيجة تلك المعصية ..

.. فأكمل جسم بشري خلقه الله تعالى (جسم آدم قبل المعصية) لم يأت من خلال توالد عبر أعضاء نتجت عن تلك الخطيئة ، إنما كان نتيجة خلق الله تعالى له مباشرة من تراب ..

.. وهذه السنة الإلهية ، وهذه الفلسفة القرآنية المطلقة ، ناموس ثابت لا يتغير ولا

يتبدل ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر : ٤٣] ..

فالكمال الجسمي لآدم عليه السلام (قبل المعصية) ، وهبوط القيمة الجسمية له - ولذريته - نتيجة تلك المعصية .. هذا الناموس الإلهي ، ندركه في ماهية خلق جسم عيسى عليه السلام .. حيث هذا الجسم وعاء لنفس تتميز عن باقي الأنفس البشرية بأنها وُلدت مليئة بالروح ..

﴿ يَا هَلْ أَكْتَبَ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [

النساء : ١٧١]

.. فقوله تعالى ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ ، يُبين لنا أن نفس عيسى عليه السلام مليئة بالروح

منذ ولادتها ، وهذه صفة تتميز بها نفس عيسى عليه السلام عن باقي البشر دون استثناء .. ولذلك وُلد عليه السلام نبياً ، وآتاه الله تعالى الكتاب في ذات اللحظة التي نُفخَ روحه

في مريم عليها السلام ..

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ٢٩ - ٣٠]

﴿ أَأَتَيْنَا الْكِتَابَ وَجَعَلْنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٢٩ - ٣٠]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢٠

.. هذا الكمال النفسي ، يقتضي - حسب الناموس الإلهي - جسماً مختلفاً عن الأقسام التي تُولد نتيجة أعضاء تناسلية ، ظهرت نتيجة معصية أينا آدم عليه السلام في جنة الاختبار ..

.. ولذلك فجسم عيسى عليه السلام لم يُخلق من اجتماع حيوان ذكري (٢٣ كروموسوم) مع بويضة أنثوية (٢٣ كروموسوم) ، لتكوين نطفة ، كباقي البشر .. إنما خُلِقَ مباشرة من تراب ، وهو في ذلك كمثل خَلْقِ جسدِ آدم عليه السلام ..

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

﴿ [آل عمران : ٥٩] ﴾

.. ومريم عليها السلام لم تحمل بعيسى عليه السلام كباقي الإناث ، فمدّة الحمل لم تتجاوز فترةً محدودة ، وفي تنالي فاء التعقيب في النصّ القرآني التالي ، إضافة إلى البيان الإلهي أنّ خلق جسم عيسى عليه السلام كمثل خَلْقِ جسم آدم عليه السلام ، من تراب وليس من نطفة كباقي البشر .. في كلّ ذلك أكبر برهان على صحّة ما نذهب إليه ..

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴿٢٣﴾ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٤﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم : ٢٢ - ٢٤]

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴿٢٣﴾ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٤﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم : ٢٢ - ٢٤]

.. وحتى مريم عليها السلام ، كانت لها خصوصيتها التي تميّزها عن باقي الإناث ، فقلوه تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ الذي يتوسّط تصوير الله تعالى لقول أمّها حين

وضعتها : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ [آل عمران : ٣٦] .. هذا القول : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ ، إضافة إلى قول الملائكة

لها : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ

الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢] ، يُؤكِّد تميّزها عن باقي النساء ، ويؤكِّد طهارتها -

كأنثى - ويؤكِّد أنّها لا تحيض كباقي النساء ((حيث الحيض نقيض الطهارة ، وهي طاهرة دائماً)) .. فهي بهذه الخصويّة مهيّأة لحمل جسم عيسى عليه السلام تلك الساعات المحدودة ..

.. وحتى جسمها عليها السلام ، فقد أنبته الله تعالى نباتاً حسناً من خلال رزق خاصّ رزقها إياه الله تعالى ، وكان ذلك نتيجة أن تقبلها الله تعالى قبولاً حسناً ، حيث أعادها وذريّتها من الشيطان الرجيم ..

.. فكونُ الله تعالى أعادها وذريّتها من الشيطان الرجيم ، وهيّأها لتحمل جسماً يحمل نفساً مليئةً بالروح (عيسى عليه السلام) ، اقتضى - حسب الناموس الإلهي - أن يُنبّتها نباتاً حسناً ، وأن يُميّزها - عليها السلام - عن باقي نساء البشر ، بماهيّة جسميّة ونفسيّة ..

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ

كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا

الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَمْرُؤُا إِنِّي لَكِ هَذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ

يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٦ - ٣٧]

.. فالرزق الذي رزقها إياه الله تعالى ، والذي له ماهيّته المختلفة عن رزق الدنيا الذي

يأكلُ منه أفرادُ جيلها ، له تعلّقه بكونها متميِّزة عن باقي النساء (كما رأينا) ، وبكونها مهيّأةً لحمل عيسى عليه السلام ، كجسم - نعني جسم عيسى عليه السلام - خلقه الله

تعالى من تراب ، دون آليّة جنسيّة ودون اجتماع الحيون الذكري مع البويضة الأنثويّة ،
 وكنفسٍ - نعني نفس عيسى عليه السلام - مليئة بالروح ، آتاه الله تعالى الكتاب في
 ذات اللحظة التي تُفخّ فيها روح عيسى في مريم عليهما السلام ..
 .. ومّا يُشيرُ إلى أنّ الرزقَ الذي رزقها إياه الله تعالى ، هو تهيأة لحمل عيسى عليه
 السلام ، وأنها كانت - قبل ولادة عيسى عليه السلام - لا تأكل إلاّ من ذلك الرزق ،
 أنّها بعد أن جاءها المخاض ، وفي الوقت الذي نادها عيسى عليه السلام من تحتها ، قال
 لها : ﴿فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ :

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِءَ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
 قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ
 جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزِيءَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾
 فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴿٢٦﴾﴾ فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا
 فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم : ٢٢ - ٢٦]

.. فأكلها لطعامٍ يختلف عن الرزق الذي يأتيها من عند الله تعالى ((كتهيئة لحمل
 عيسى عليه السلام)) .. هذا الطعام المختلف عن الرزق الذي آتاه الله تعالى كحرق
 لناموس الرزق الذي يعلمه أفرد جيلها ﴿وَهَزِيءَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا
 جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ فكلّي وأشربي وقري عينا ﴿﴾ ، يُساعد في خروج عيسى عليه السلام من فرجها
 .. فمهمتها التي هيئت لها ، والتي لها تعلقها بالرزق الذي يأتيها من عند الله تعالى ، قد
 انتهت عند المخاض ، حيث ولادة عيسى عليه السلام ..
 .. ومريم عليها السلام تُفخّ فيها من الروح (بمعنى الصلة والمدد والقربى من الله تعالى)
 كونها أحصنت فرجها ..

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء : ٩١]

.. إن كلمة ﴿ فِيهَا ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ تعود إلى التي أحصنت فرجها ، وبالتالي تُؤكِّدُ أن الروح - المعني هنا - نُفِخَ في نفس مريم عليها السلام ، بمعنى أن الله تعالى أعطاها الصلة والمدد والقربى منه جلّ وعلا كونها أحصنت فرجها .. وهذا الروح الذي نُفِخَ في نفس مريم عليها السلام ، هو أمرٌ آخر غير الروح الذي نُفِخَ في فرجها والذي يتعلّق بعيسى عليه السلام ..

.. بينما في قوله تعالى : ﴿ وَرَيْمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾

﴿ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِحْسَانُ ﴾ [التحريم : ١٢] ..

نرى أن نفخ الروح - هنا - يعني نفخ عيسى عليه السلام (كنفس مليئة بالروح) في فرج مريم عليها السلام .. فكلمة ﴿ فِيهَا ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ تُؤكِّدُ أن النفخ في فرج مريم عليها السلام ، وليس في ذاتها كما هو حال نفخ الروح في الآية السابقة ..

ونرى حكمة عظيمة في كَوْنِ خُلُقِ جسدِ عيسى عليه السلام من تراب مباشرة ، دون نطفة وبويضة كباقي البشر ، وذلك من عدّة مناظير :

١ - نفس عيسى عليه السلام الممتلئة بالروح والتي لا تعرف الخطيئة ، والتي تتميز - بذلك - عن أنفس جميع البشر ، لا بدّ لها من جسم (وعاء لها) خُلِقَ دون أعضاء نتجت عن الخطيئة ، ولذلك كان جسم عيسى عليه السلام دون اجتماع الحيون الذكري مع البويضة الأنثوية ، ودون آليّة جنسيّة ناتجة عن الخطيئة الأولى ..

٢ - إن امتلاء النفس بالروح يعني أنّها ستترك الجسم الدنيوي الهابط [أجسامنا التي تتوالد من أعضاء نتجت عن الخطيئة الأولى] وتخرج إلى الله تعالى ، كما حصل في معراج النبي ﷺ ، حيث عرج ﷺ إلى الله تعالى ، حينما امتلأت نفسه الشريفة (وقت المعراج)

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢٤

روحاً .. ونفس عيسى المليئة بالروح دائماً ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ لا بد لها من جسمٍ مميّزٍ مختلفٍ عن أجسامنا ، حتى تبقى مستقرّةً في عالم الدنيا ، وإلاّ فستترك جسمها وتخرج إلى الله تعالى .. لذلك كان جسم عيسى عليه السلام ، بخصوصيته التي بيّنها لنا كتاب الله تعالى ..

٣ - جسم عيسى عليه السلام بهذه الخصوصية المميّزة عن أجسام باقي البشر ، ضرورة لا بدّ منها لمعرفة هويته عليه السلام في عودته التي يؤكدها القرآن الكريم ، ففي عودته يتمّ التعرف عليه عبر خصوصية جسمه المختلفة ، وبناء على ذلك يؤمن به كلُّ أهل الكتاب في عودته وقبل موته ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩] .. وقد بيّنت ذلك بشكلٍ جليّ في كتاب

المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء) ، وفي بحث : المسيح بين الصليب والعودة إذاً .. ناموس الله تعالى لا يتبدّل ولا يتغيّر ، فبعد خطيئة آدم عليه السلام هبط جسمه إلى ماهية أدنى ممّا كان عليه ، وبعد أن تاب الله تعالى عليه واجتباها ، بعد ذلك أتته النبوة ..

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ هُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا مَخَصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [طه : ١٢١ - ١٢٢]

.. فالنبوة لا تكون إلاّ في دار التكليف والامتحان ، وهي دار خلافة الإنسان لله تعالى على هذه الأرض وهكذا .. فنتيجةً للامتحان الأوّل في جنّة الاختبار المادية لأبوي البشرية ، يتمّ هبوط جميع الأنفس البشرية إلى عالم الامتحان (عالم الجزئيات) في أجسامٍ بشريةٍ أدنى

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢٥

خُلِقًا مِنْ مَاهِيَّةٍ جَسْمِ آدَمَ وَزَوْجِهِ قَبْلَ هَبْوَطِهِمَا .. فَوَجَّ يَدْخُلُ دُنْيَا الْإِمْتِحَانِ بِالْمِيلَادِ ،
وَفَوَجَّ يَخْرُجُ مِنْهَا بِالْمَوْتِ ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ لِحْظَةٍ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ ..

﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴿۱﴾ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿۲﴾ [البقرة : ٣٨]

﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴿۳﴾ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴿۴﴾ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ

اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿۵﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿۶﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٤]

.. مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ ، نَصَلَ إِلَى أَنَّ الْجَسْمَ الْبَشَرِيَّ الَّذِي نَرَاهُ فِي عَالَمِنَا هَذَا ، هُوَ جَسْمٌ
هَابِطٌ عَنِ الْجَسْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ مَبَاشَرَةً مِنْ تَرَابٍ .. وَهَذَا مَا نَقَرُّوهُ فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى ..

﴿ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ ﴿۱﴾ وَطُورٍ سِينِينَ ﴿۲﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿۳﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿۴﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿۵﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿۶﴾ [التين : ١ - ٦]

.. فَالْجَسْمُ الْأَوَّلُ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ أَكْلِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ تُشِيرُ إِلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ﴿ لَقَدْ

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ .. وَالْجَسْمُ الْهَابِطُ بَعْدَ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ وَظُهُورِ

السُّوءِ ، وَمِيرَاثِ بَنِي آدَمَ لِهَذَا الْجَسَدِ الْهَابِطِ ، تُشِيرُ إِلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ

سَافِلِينَ ﴾ .. وَإِعَادَةُ الْجَسْمِ فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَاهِيَّةِ الْجَسْمِ الْأَوَّلِ دُونَ هَبْوَطِ ،

تُشِيرُ إِلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ ،

فَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، أَجْسَامُهُمْ أَفْضَلُ حَتَّى مِنَ الْجَسْمِ الْأَوَّلِ ..

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢٦

.. من هنا نرى الحكمة من ورود كلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ كصفة لكلمة ﴿ مَّاءٍ ﴾ في آيتين

من آيات كتاب الله تعالى ، تصوّر ان خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا ..

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٨]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢٠]

.. فكلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ تعني الهابط والوضيع والحقير ..

﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَّهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾

فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِيكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف :

[٥١ - ٥٣]

﴿ وَلَا تَطَّعْ كُلَّ خَلَافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءً بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ

﴿١٢﴾ عَثَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ

أَسْطِيفُ الْأَوْلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ [القلم : ١٠ - ١٦]

.. وكون السلالة التي جعل منها نسل الإنسان ، ناتجة عن ماهية جسمه الهابط ، الذي

هو ميراث من الجسم الهابط لأدم عليه السلام ، نرى كلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ تصف الماء ﴿ مَّاءٍ ﴾

﴿ مَّهِينٍ ﴾ الذي جعلت منه هذه السلالة ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ..

ونراها أيضاً تصف الماء الذي هو أصل سرّ الحياة في خلق الإنسان : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ

﴿ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ..

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢٧

.. بينما في وصف الله تعالى لأصل خلق الدواب ، لم نر كلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ .. لأنَّ أجسادها لم تتعرَّض للهبوط الذي تعرَّض له جسم الإنسان ..

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۗ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥]

.. هنا الله تعالى يقول : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ﴾ .. دون ذكر لكلمة مهين .. فالدواب التي ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۗ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۗ ﴾ ، لم تتعرَّض أجسادها لهبوط في القيمة كما حصل مع جسم آدم عليه السلام ، نتيجة أكله من الشجرة التي فهاه الله تعالى وزوجه عن الأكل منها .. لذلك .. فأدم وزوجه ليسا معنيين بمسألة الخلق من ماء مهين ، كونهما خلقا قبل هذا الهبوط .. ففي قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [المرسلات : ٢٠ - ٢٢]

.. نرى أن آدم وزوجه ليسا معنيين بذلك .. فلم يُخلقا من ماء مهين ، ولم يجعلوا في قرار مكين ، كباقي البشر .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ - ٩]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢٨

.. فبعد خلق الإنسان من طين ، حيث خلق الجسم الأول ، بعد ذلك : ﴿ ثُمَّ ﴾ ،
وبعد هبوط جسمي آدم وزوجه عليهما السلام ، بعد ذلك ، جعل الله تعالى نسل
الإنسان من سلالة ماء مهين : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ..
.. فالذين خُلِقُوا من تراب مباشرة دون الماء المهين ، هم فقط آدم (وزوجه) ،
وعيسى ، عليهم السلام ..

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
[آل عمران : ٥٩]

.. وما نراه أن الله تعالى يقول ﴿ كَمَثَلِ ﴾ ، بمعنى : مثل المثل .. فأدم عليه السلام لم
يُوضع في رحم امرأة لتضعه بعد ساعات ، كما حصل مع عيسى عليه السلام ..
.. في كتاب الله تعالى ، نرى أنه في بداية خلق السماوات والأرض ، كان سلطان الله
تعالى (عرشه) على الماء ..

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود : ٧]

.. وفي كتاب الله تعالى نرى أن أصل كل الأحياء هو الماء ..

﴿ أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠]

.. الله تعالى لم يقل : (وجعلنا بالماء كل شيء حياً) ، ليكون المعنى : بواسطة الماء
كل شيء يصبح حياً .. أبداً .. الله تعالى يقول ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ ،
بمعنى كل الأشياء الحية جُعِلت من الماء وكنا قد وقفنا عند قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢٩

﴿ كُلٌّ دَابَّةٌ مِنْ مَّاءٍ ﴾ .. فالماء إذاً هو أصل خلق كل دابة ، كونه الأصل الذي جعل منه كل شيء حي ..

.. الآن .. لنعد إلى العبارة : ﴿ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ، في قوله تعالى ..

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ - ٩]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ ﴿ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [المرسلات : ٢٠ - ٢٢]

.. ما نراه أن كلمة ﴿ مَّاءٍ ﴾ تأتي بصيغة نكرة ، وتوصف بكلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ .. ورأينا أن الآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ، جاءت مبتدئة بكلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ وخلف قوله تعالى : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ... فالعبارة ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ تصف بداية خلق الإنسان ، أي خلق جسم آدم عليه السلام ..

.. ولما كان جسم آدم عليه السلام (قبل معصيته) ليس هابطاً ، ولما كان خلقه لا يخرج عن الناموس الإلهي ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ ، فإن جسم آدم الأول خلق من ﴿ الْمَاءِ ﴾ ، وليس من ماء مهين ، كون الهبوط لم يكن حاصلًا عندما خلق جسم آدم الأول .. فجسم آدم خلق من ﴿ الْمَاءِ ﴾ .. وهذا ما نراه في قوله تعالى ..

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [

الفرقان : ٥٤]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٠

.. الله تعالى لم يقل : (خلقكم) بصيغة تشمل كلَّ البشر .. إنما يقول : ﴿ خَلَقَ مِنْ

الْمَاءِ بَشَرًا ﴾ .. وذلك كقوله جلَّ وعلا :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلٰصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر

: ٢٨]

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴾ [ص : ٧١]

.. فالعبارة ﴿ خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾ ، تخصُّ خلق جسم آدم عليه السلام .. لذلك لم

نر كلمة ماء بصيغة نكرة موصوفة بكلمة مهين : ﴿ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴾ وما نراه هو كلمة

: ﴿ الْمَاءِ ﴾ .. فالماء هو الأساس الذي خُلِقَ منه جسم آدم الأوَّل ، إضافة إلى خلقه من

تراب ، وما ينتج عنهما من طين ، وما يتحوَّل عن ذلك من حالة صلصال من حمأ مسنون

، وصولاً إلى مرحلة صلصال كالفتخار .. كما سنرى بإذن الله تعالى ..

.. وكلمة ﴿ نَسَبًا ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا

وَصِهْرًا ﴾ ، تعني : رابطاً وصلة ..

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون :

: ١٠١]

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحٰنَ

اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ [الصافات : ١٥٨ - ١٥٩]

وكلمة ﴿ وَصِهْرًا ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا

وَصِهْرًا ﴾ ، تعني : فعل التذويب والتماهي ..

﴿ قَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ أَحْمِيمٌ ﴾

﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ [الحج: ١٩ - ٢٠]

.. وما نراه في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾

، أن الضمير الماء في كلمة: ﴿ فَجَعَلَهُ ﴾ يعود على كلمة: ﴿ الْمَاءِ ﴾ ، وليس على

كلمة: ﴿ بَشَرًا ﴾ .. فالذي جُعِلَ ﴿ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ ليس جسم آدم عليه السلام ، إنما

الماء الذي كان أساساً في خلق جسم آدم ... هذا الماء جُعِلَ ﴿ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ كماءٍ

مهيّن ، هو أساس خلق أجسام باقي البشر ، بعد هبوط آدم وزوجه من الجنة ..

.. الله تعالى لم يقل : ((وهو الذي خلق بشراً من الماء فجعله نسباً وصِهْرًا))

ليكون البشر المخلوق من الماء هنا هو محور الجعل .. إنما يقول جلّ وعلا : ﴿ وَهُوَ الَّذِي

خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ ، مقدماً العبارة ﴿ مِنَ الْمَاءِ ﴾ على كلمة

﴿ بَشَرًا ﴾ ، ليكون ﴿ الْمَاءِ ﴾ الذي خُلِقَ منه جسم آدم عليه السلام ، هو محور الجعل

الذي تُخْلَقُ منه أجسام ذريّته ..

.. إذا .. ﴿ الْمَاءِ ﴾ الذي خُلِقَ منه الجسم الأوّل لأب البشرية آدم عليه السلام ، قبل

هبوط هذا الجسم كما رأينا .. هذا الماء جُعِلَ (وليس خُلِقَ) أساساً لبذرة توالد أبناء آدم

، وذلك بعد هبوط جسم آدم وزوجه كقيمة خُلِقِيَّة كما رأينا .. بمعنى جُعِلَ ماءً مهيناً ،

يكون أساساً تنتج عنه البذرة التي تتوالد من خلالها أجسام البشر ..

.. وماهيّة جعله هي : ﴿ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ .. بمعنى : جُعِلَ هذا الماء ماءً مهيناً ، رابطاً

وصلةً تربط الآباء بالأبناء ، أساساً يُخْلَقُ منه الحيوان الذكري المعروف كمني ذكري ،

والبويضة المعروفة كمني أنثوي .. وفي الوقت ذاته جُعِلَ تماهياً وذوباناً (انصهاراً) للماء

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٢

المهين للأب مع الماء المهين للأم ، في جسم ولدهما ، وذلك عبر انصهار مني الأب الذي يُخلق من الماء المهين للأب مع مني الأم الذي يُخلق من الماء المهين للأم ، وذلك في النطفة ، التي هي الخلية الأولى في تكوين جسم المولود ..

.. إذا .. المني الذكري [[الحيوان الذكري المكوّن من (٢٣) كروموسوم]] ، والبويضة الأنثوية [[المكوّنة من (٢٣) كروموسوم]] ، ليسا هما الماء المهين حسب التعريف القرآني ، إنّما نتجا عن الماء المهين ، ذلك الماء المهين الذي جُعِلَ من الماء الذي خلق الله تعالى به الجسم الأوّل للبشريّة .. وهذا ما ينطق به قوله تعالى :

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ - ٩]

.. السلالة التي جُعِلَ منها النسل البشري ، جُعِلت من الماء المهين .. فما بين المرحلة المصوّرة بالقرآنية ﴿ ماءٍ مهينٍ ﴾ ، والمرحلة المصوّرة بالعبارة ﴿ نَسْلَهُ ﴾ ، هناك مرحلة وسطى هي ﴿ سُلَالَةٍ ﴾ ..

.. إذا .. في هذا النصّ الكريم في سورة السجدة ، نرى المراحل التالية :

١ - خلق الجسم الأوّل من ﴿ طِينٍ ﴾ .. هو خلق جسم آدم عليه السلام : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ .. ومعلوم أنّ كلمة ﴿ طِينٍ ﴾ تعني : الماء + تراب فكما قلنا .. جسم آدم الأوّل وزوجه (وكذلك جسد عيسى) ، لم يُخلَق من ماء مهين ، كما هو حال أجسام باقي البشريّة .. فالجسم الأوّل والذي هو بداية خلق الإنسان ، خُلِق من ﴿ طِينٍ ﴾ كما نرى في هذه الآية الكريمة ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ .. وهذا الطين يتكوّن من ﴿ الْمَاءِ ﴾ كمادّة أولى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ، ومن ﴿ تَرَابٍ ﴾ كمادة أولى أيضاً ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، وليس من

التراب المعرف بأل التعريف ، كما سنرى بإذن الله تعالى ..

.. من هنا نرى أن هاتين المادتين هما مسألة كاملة ، كونهما الأساس الأول (كمادتين

متمايزتين غير متحولتين عن مادة سابقة) في خلق جسم آدم عليه السلام ..

$$\underline{29} = \langle \text{تَرَابٍ} \rangle ، ، \underline{9} = \langle \text{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ} \rangle$$

$$\underline{29} + 9 = 38 = 2 \times 19$$

٢ - هذا الماء الذي خُلِقَ منه الجسم الأول كما رأينا ، أصبح ماء مهيناً بعد هبوط الجسم الأول كقيمة خلقية كما رأينا ، وهذا الماء المهين الذي ورثه الجسد البشري عن الجسم الأول الهابط ، هو سرُّ الحياة المنتقل من الآباء إلى الأبناء .. وهذا ما نراه في هذا النصِّ الكريم مصوراً بالعبارة ﴿ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ..

٣ - هذا الماء المهين الحامل لسرِّ الحياة في الأجسام البشرية كسلالة (ينتج عنها النسل البشري) عبر الأجيال ، هو الأساس لهذه السلالة التي يخرج منها النسل البشري .. وهذا ما تصفه كلمة ﴿ سُلَالَةٍ ﴾ في هذا النصِّ الكريم .. فالسلالة هي جوهر الماء المهين المتوارث عبر الأجيال في سرِّ الحياة ، حيث ينتج منها النسل البشري .. ولذلك نرى توازناً كاملاً بين كلمة ﴿ سُلَالَةٍ ﴾ وبين العبارة ﴿ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ..

$$\underline{26} = \langle \text{سُلَالَةٍ} \rangle ، ، \underline{26} = \langle \text{مَّاءٍ مَّهِينٍ} \rangle$$

٤ - النسل البشري والذي ينتج عن نطفة ... بمعنى : ينتج عن اجتماع الحيوان الذكري (٢٣ كروموسوم) مع البويضة الأنثوية (٢٣ كروموسوم) ، تصفه في هذا

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٤

النصّ الكريم كلمة ﴿ نَسْلَهُر ﴾ .. فالنسل يكون من خلال ﴿ نَطْفَةٍ ﴾ (٤٦ كروموسوم

.. ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [النحل : ٤] ..

.. لذلك نرى أنّ كلمة ﴿ نَسْلَهُر ﴾ تدخل مع كلمة ﴿ نَطْفَةٍ ﴾ في مسألة كاملة ..

$$٢٧ = ﴿ نَسْلَهُر ﴾ ، ، ٤٩ = ﴿ نَطْفَةٍ ﴾$$

$$٤٩ + ٢٧ = ٧٦ = ١٩ \times ٤$$

.. إذا .. في قوله تعالى : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُر مِنْ

سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٧ - ٨] ، نرى أنّ كلمة ﴿ طِينٍ ﴾ تصف الأساس

المتعلق بجسم آدم عليه السلام ، والذي منه ورث الجسم البشري سرّ الحياة عبر ما تصفه

العبارة ﴿ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ، بواسطة ﴿ سُلَالَةٍ ﴾ ، تنتج النسل ﴿ نَسْلَهُر ﴾ .. لذلك من

الطبيعي أن نرى هذه الكلمات تكوّن مسألة كاملة ..

$$٣٥ = ﴿ طِينٍ ﴾ ، ٢٦ = ﴿ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ، ٢٦ = ﴿ سُلَالَةٍ ﴾ ، ٢٧ = ﴿ نَسْلَهُر ﴾$$

$$٢٧ + ٢٦ + ٢٦ + ٣٥ = ١١٤ = ١٩ \times ٦$$

.. إذا .. قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُر مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ، لا يتحدث عن

مجرد خلق المني الذكري والأنثوي كما ذهبت معظم التفاسير القديمة والحديثة .. إنّما

يصوّر خلق النسل البشري من أصل سرّ الحياة الذي هو الماء المهين ، كون البشر ورثوا

ناموس الجسم الهابط كما رأينا .. وهذا يقابل في الدواب الخلق من الماء ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ

دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ﴾ [النور : ٤٥] .. لكن في الدواب الماء ليس مهيناً كما رأينا .. هذا ما

نراه في التكامل بين هاذين النصّين ..

$$١١١ = ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ﴾ [النور : ٤٥]$$

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٥

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُمْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٨] = ١٥٥

$$١٤ \times ١٩ = ٢٦٦ = ١٥٥ + ١١١$$

.. فقله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ﴾ لا يعني مجرد خلق الدواب من المني

الذكري والأنثوي ، إنما يعني ما هو أبعد من ذلك ، وهو سرّ الحياة والأصل الذي خُلِقَ

منه هذا المني .. وكذلك الأمر بالنسبة لقوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُمْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ،

الذي يصف جعل النسل البشري من سلالة من الماء المهين الذي هو سرّ الحياة

في الجسم الهابط ، الذي ورثه البشر عن جسم أبيهم آدم ، بعد هبوط قيمته الخلقية ..

.. وهذا المعنى المحمول بقوله تعالى ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُمْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٧ - ٨] ، لا يختلف مع المعنى الذي نراه

في قول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

[المراتل : ٢٠ - ٢٢]

.. فالذي جعله الله تعالى في قرارٍ مكين ، ليس الماء المهين ، إنما ما خُلِقَ من الماء المهين

الذي هو مني الرجل (الحيوانات الذكرية وليس السائل الحامل لها) ومني المرأة الذي هو

البويضة .. فالضمير الهاء في كلمة ﴿ فَجَعَلْنَاهُ ﴾ ، يعود على المخلوق من الماء المهين ،

وليس على الماء المهين .. أي يعود على النطفة (٤٦ كروموسوم) ..

.. فهذه الآية الكريمة ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [المراتل : ٢١] ، حيث الضمير

في كلمة ﴿ فَجَعَلْنَاهُ ﴾ يعود على المخلوق من الماء المهين وهو النطفة ، وليس على الماء

المهين كما قلنا ، تتكامل مع قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [المؤمنون :

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٦

[١٣] ، في مسألة كاملة تؤكد هذه الحقيقة ، حيث كلمة ﴿ مَكِينٍ ﴾ لم ترد في كتاب الله تعالى متعلقة بخلق الإنسان إلا في هاتين الآيتين الكريمتين ..

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٣] = ١٩٤

﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢١] = ١٢٩

$$١٧ \times ١٩ = ٣٢٣ = ١٢٩ + ١٩٤$$

.. ولننظر في قوله تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ٥ - ١٠]

.. الآية الأولى في هذا النصّ الكريم ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ ، تحمل دعوة من الله تعالى للإنسان ، لينظر في بداية خلقه التي يستطيع النظر إليها بحواسه ، وهي كما قلنا النطفة (٤٦ كروموسوم) ، وهي ذاته ما جعله الله تعالى في قرارٍ مكين : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢١] .. وهذا ما نراه في التوازن التالي ..

﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢١] = ١٢٩

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق : ٥] = ١٢٩

.. الآية الكريمة ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ ، نرى فيها أنّ كلمة ﴿ خُلِقَ ﴾ تعود على الإنسان ، وأنّ العبارة ﴿ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ ، تصوّر سرّ الحياة الذي ورثه الجسم البشري عن الجسم الهابط لأبيه آدم ، ذلك السرّ الذي منه خُلق المني الذكري (٢٣ كروموسوم) والأنثوي (٢٣ كروموسوم) .. بمعنى : أنّ المني الذكري والأنثوي الذي هو أصل خلق

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٧

الإنسان ، هذا الأصل للإنسان ، خُلِقَ من ماءٍ دافقٍ .. لذلك .. كون هذه العبارة ﴿ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ تحمل في سياقها إجابة كاملة عن خلق الإنسان ، بمعنى : مسألة كاملة في تبيان الماهية التي خُلِقَ منها الإنسان ، كسرِّ حياة هو الأصل الدافق عبر الأجيال أباً عن جد وصولاً لآدم عليه السلام .. لذلك .. نراها مسألة كاملة ..

$$\langle \text{مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ} \rangle = 57 = 3 \times 19$$

.. إذاً .. المعنى الذي تحمله الآية الكريمة ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق : ٦] ، والتي تُصوِّرُ خلقَ الإنسان عبر المني الذكري والأنثوي ، من الماء الدافق الذي هو أصل الحياة المستمرة ، والمتوارث من آدم وزوجه دافقاً عبر الأجداد والآباء .. هذا المعنى .. يتوازن مع المعنى الذي رأيناه ، الذي تصوّره الآية الكريمة ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ .. هذا التوازن .. نراه توازناً في القيم العددية بينهما ..

$$\langle \text{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ} \rangle [\text{المرسلات : ٢٠}] = 93$$

$$\langle \text{خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ} \rangle [\text{الطارق : ٦}] = 93$$

.. ولو أخذنا العبارتين [[﴿ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾] ، [﴿ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾]] ، لرأينا أنّنا أمام مسألة كاملة ، فخلق الإنسان (عدا جسم آدم وزوجه وجسم عيسى عليهم السلام)

كان من ماء يتّصف بصفتي : [[﴿ مَّهِينٍ ﴾] ، [﴿ دَافِقٍ ﴾]] ..

$$\langle \text{مَّاءٍ مَّهِينٍ} \rangle [\text{المرسلات : ٢٠}] = 26$$

$$\langle \text{مَّاءٍ دَافِقٍ} \rangle [\text{الطارق : ٦}] = 50$$

$$4 \times 19 = 76 = 50 + 26$$

.. وفي حين أن كلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ على وزن فعيل ، كونها تصف كينونة الماء الذي خُلِقَ منه الحيوان الذكري والبويضة الأنثوية ، بأنه حقير وهابط ، كونه سرَّ الحياة المتوارث عبر الأجيال من جسم آدم الهابط .. نرى أن كلمة ﴿ دَافِقٍ ﴾ بصيغة اسم فاعل ، تصف ليس كينونة ذلك الماء ، إنما حركته المستمرة من جيلٍ إلى جيلٍ فكلمة ﴿ دَافِقٍ ﴾ لا تصف كينونة ذلك الماء الذي تُخلَقُ منه مكونات الإنسان الأولى ، إنما تصف حركة تدفقه عبر الأجيال .. فما يصف كينونة ذلك الماء هو كلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ .. لذلك فالعبارة ﴿ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ تصف الأساس الذي جعلت منه السلالة ، التي جعل منها النسل : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٨] .. من هنا رأينا التوازن بين العبارتين التاليتين في هذه الآية الكريمة :

﴿ سُلَالَةٍ ﴾ = ٢٦ ، ، ﴿ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ = ٢٦

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ ، نرى فيه أن عبارة ﴿ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ تصف حركة الأصل ﴿ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ الذي تنتج منه السلالة ، والذي يستمر تدفقه عبر الأجيال ، منتقلاً من أجسام الآباء إلى أجسام الأبناء ..

.. وتأتي الآية الكريمة ﴿ مَخْرُجٍ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ ، لتصور لنا خروج الإنسان ، وليس خروج المني المخلوق من الماء الدافق .. وما يؤكد ذلك هو الضمائر المتتالية في هذا النصِّ الكريم ، التي تعود كلها على الإنسان ..

.. الضمير المستتر بكلمة ﴿ خُلِقَ ﴾ في قوله تعالى ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ واضح أنه يعود على الإنسان ، ولا يعود على ذات المني الذكري والأنثوي .. والضمير المستتر المتعلق بكلمة ﴿ مَخْرُجٍ ﴾ في قوله تعالى ﴿ مَخْرُجٍ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ ، أيضاً يعود

على الإنسان ، أو ممَّا خُلِقَ منه الإنسان (ماء مهين دافق) كسرَّ حياة ، ينتج عنه المني الذكري (٢٣ كروموسوم) والأنثوي (٢٣ كروموسوم) ، ولا يعود على ذات المني الذكري والأنثوي .. فجملة ﴿ مَخْرُجٌ ﴾ تبين حال خلق الإنسان (أو سرَّ الحياة المنتج للمني الذكري والأنثوي) بأنَّه خروجٌ من بين الصلب والترائب .. والضمير الهاء في كلمة ﴿ رَجَعُوا ﴾ في قول تعالى ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ يعود أيضاً على الإنسان .. والضمير الهاء في كلمة ﴿ لَهُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ يعود أيضاً على الإنسان ..

.. فهل يُعقل أن الضمير الهاء في كلمة ﴿ رَجَعُوا ﴾ في قول تعالى ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ يعود إلى السائل الحامل للحيوان الذكري ؟!!!!!! .. وهل يعقل أن الضمير الهاء في كلمة ﴿ لَهُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ يعود إلى السائل الحامل للحيوان الذكري ؟!!!!!! .. كل الضمائر كما نرى تعود إلى الإنسان ، أو إلى سرَّ الحياة المتوارث (ماء مهين دافق) عبر الأجيال ، الذي يُخلق منه المني الذكري (٢٣ كروموسوم) والأنثوي (٢٣ كروموسوم) ، وليس السائل الحامل للحيوان الذكري .. وكلمة ﴿ مَخْرُجٌ ﴾ نراها بصيغة المضارع ، ومن الجذر (خ ، ر ، ج) وليس من الجذر (خ ، ل ، ق) .. فالخروج من الشيء هو الانتقال منه إلى غيره .. وهذه هي - إضافة للعبارة قيد البحث - جميع العبارات القرآنية الحاملة لكلمة ﴿ مَخْرُجٌ ﴾ متبوعة بكلمة من ..

﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤٠

﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ ﴾ مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره

على الله وكان الله غفوراً رحيمًا ﴿ [النساء : ١٠٠]

﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ يخرج من بطونها شراب

مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴿ [النحل : ٦٩]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ ﴾ يخرج

من خلله ﴿ [النور : ٤٣]

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ

كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ ﴿ [الروم : ٤٨]

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا

وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ ﴿ [سبأ : ٢]

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٦﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا

تُكذِّبَانِ ﴿١٨﴾ يَخْرُجُ مِنْهَا الْوَلُّوُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ﴿ [الرحمن : ١٩ - ٢٢]

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ ﴿ [الحديد : ٤]

.. فالعبارة ﴿ يخرج من ﴾ تعني : ينتقل من المكان الذي هو فيه إلى مكان آخر ..

.. وفي الآية التي بين أيدينا ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ ، نرى أن الخروج

المستمر المتدفق خلال الأجيال أباً عن جد حتى آدم وزوجه عليهما السلام ، نرى أنه ليس

خروجاً من الصلب ، وليس خروجاً من الترائب .. إنما هو خروج من بينهما : ﴿ يخرج

من بين الصلب والترائب ﴾ .. وهذا يشابه قوله تعالى ..

.. فالدين لا يخرج لا من الفرث ، ولا من الدم ، إنما من بينهما .. بمعنى : يُستخلص من بينهما ..

.. كما نرى أن كلمة ﴿ الصُّلْبِ ﴾ هي اسم صفة ، وليست اسم ذات لعضوٍ محددٍ

بعينه .. وكذلك كلمة ﴿ التَّرَائِبِ ﴾ ..

.. الخطأ التفسيري الأكبر الذي وقع فيه التفسير الموروث ، ويطلب ويزمُّ به الكثيرون على الفضائيات ، ممن يحسبون أنفسهم أوصياء على كتاب الله تعالى ، واستغله أعداء كتاب الله تعالى للإساءة لكتاب الله تعالى ، هذا الخطأ هو القول بأن الصلب هو الظهر ، والترائب هي الصدر ، وأن قوله تعالى ﴿ مَخْرُجٌ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ يعني : أن المني الذكري يخرج من ظهر الإنسان ، أو يخرج مما بين الظهر والصدر ، وأن المني الأنثوي يخرج من صدر المرأة .. في الوقت الذي ثبت به علمياً أن الحيوان المنوي الذكري يخرج من الخصيتين وليس من الظهر .. والطامة الكبرى أنهم يستشهدون على جهلهم هذا بأحاديث ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، تُنسب للرسول ﷺ ظلماً وعدواناً ..

.. وهناك من المعاصرين من حاول تبرير ذلك ، فذهب إلى أن الخصيتين والمبيض))) حيث تُنتج الحيوانات الذكرية والبويضة الأنثوية (((، قد هبطا من منطقة هي بين العمود الفقري (على جانبيه) والأضلاع ، وذلك في مرحلة تكوّن الجنين في بطن أمه .. بمعنى : أن الخصيتين للأب ، والمبيض للأم ، أصلهما من الحدة التناسلية في منطقة ما بين العمود الفقري والصدر ، حينما كان هذان الأبوان كلٌّ منهما جنيناً في بطن أمه .. بمعنى : أن أصل كلٍّ من الخصية والمبيض ، في النشأة الجنينية للأبوين ، تكون في ظهري الأبوين ما بين العمود الفقري والأضلاع ، ثمّ تماجر كلٌّ منهما إلى مكانها المعلوم .. فالخصية تماجر

إلى كيس الصفن ، والمبيض إلى حوض المرأة .. وكل ذلك في مرحلة الجنين للأبوين .. ومع ذلك - كما قالوا - تبقى تغذية الخصية والمبيض في حياة الإنسان بعد وضعه ، من حيث أصلهما في الحالة الجنينية .. هذا ملخص مختصر لما قاله بعض المعاصرين ..

.. لكن .. هذا التبرير الناتج عن خطأ تفسيري وعدم الوقوف على حقيقة الدلالات المحمولة بصياغة العبارات القرآنية ، لا تسعفه حقيقة علمية ، أن المني الذكري للرجل البالغ يخرج (حين خروجه) من الخصيتين ، وكذلك البويضة من المبيض .. فكون الخصيتين والمبيض قد هاجرا (في الحالة الجنينية) من مكان آخر ، لا يسعفهم في تبرير ما يذهبون إليه .. لأنهما (الخصيتين والمبيض) أثناء خروج المن الذكري والأنثوي منهما ، لا يكونان ما بين العمود الفقري والصدر ..

.. بناء على مذهبهم التفسيري القائل بأن المعنى بقوله تعالى ﴿مَخْرُجٌ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ

وَالْتَرَائِبِ﴾ هو المني الذكري والأنثوي ، فإن المني الذكري والأنثوي حين خروجه ، يخرج من الخصيتين والمبيض ، وليس مما بين العمود الفقري والأضلاع ، فدلالات كلمة ﴿مَخْرُجٌ﴾ لا تسعفهم أبداً فيما يذهبون إليه ..

.. هذه الكلمة ﴿مَخْرُجٌ﴾ رأينا (بالنظر إلى جميع مرّات ورودها في كتاب الله تعالى متبوعة بكلمة من) كيف أنّها تصف مغادرة المعنى بالخروج ، للمكان الذي يغادر منه ، حين خروجه من هذا المكان ، ولا تصف أصل خلقه أو أصل مجيئه إلى هذا المكان الذي يتمّ منه الخروج .. والمني الذكري والأنثوي يخرج (أثناء خروجه) من الخصيتين والمبيض ، بمعنى يظهر ويغادر منهما ، بمعنى : أن خروجه (المكان الأخير الذي تركه وغادره) هو من الخصيتين والمبيض .. ولا علاقة لذلك بالمكان الذي هاجرت منه الخصيتان والمبيض ، فالله تعالى يقول : ﴿مَخْرُجٌ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ ولم يقل : (خُلِقَ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) ..

.. للوقوف على حقيقة معنى كلمة ﴿ الصُّلْبُ ﴾ ، لا بدَّ من العودة إلى مشتقات

الجذر (ص ، ل ، ب) في كتاب الله تعالى ..

.. من دلالات الفعل الثلاثي (صَلَبَ) في كتاب الله تعالى : وَضَعَ الْإِنْسَانَ وَتَثَبَّتَهُ

على أداة ثابتة حتى ينتقل إلى الحياة الأخرى من على هذه الأداة .. أي : الخروج من

الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى ، من خلال التثبيت على أداة ثابتة لا يستطيع الانفكاك

عنها ..

.. من هنا .. فالصليب : هُوَ الأداة الثابتة التي يخرجُ من خلالها المصلوبُ إلى الحياة

الأخرى وفي هذا الإطار من المعنى تُفهم دلالات مشتقات الجذر (ص ، ل ، ب)

في قوله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن

شُبِّهَ هُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧]

﴿ يَصْلِحِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ

الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ [يوسف : ٤١]

.. وفي حين أن دلالات الفعل الثلاثي (صَلَبَ) تعني الموت على الصليب دون تأثير

خارجي ، بمعنى : أن الصليب كان البداية للخروج من الدنيا ، فمن على الصليب يبدأ

المصلوبُ خروجه من الدنيا نحو الآخرة ، لا قبل ذلك ، دون أي مؤثر خارجي مُفتعل ..

في الوقت ذاته ، نرى أن دلالات الفعل الرباعي (صَلَّبَ) ، تعني ابتداءً مُقدّمات الخروج

من الدنيا قبل الوضع على الصليب من خلال التعذيب وفعل مُقدّمات القتل ، ثم يأتي

الصليبُ ليكونَ النهايةَ للمصلوب ، حيث يخرج المصلوب من الدنيا من خلال هذا

الصليب نتيجة أفعال التعذيب التي تعرّض لها قبل الصلب ، إضافةً لوضعه على الصليب ..

يقولُ تعالى واصفاً قولَ فرعون للسحرة :

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤٤

﴿ لَا قُطِعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَا يُضِلُّكُمْ أَصْلَابُكُمْ ﴾ [الأعراف :

[١٢٤

.. فالكلمة القرآنية : ﴿ لَا أُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ تعني الوضع على الصليب بعد قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، فالموت على الصليب - في هذه الحالة - هو بسبب قطع الأيدي والأرجل من خلاف ومن ثم بسبب الترك على الصليب حتى الموت .. والآيتان الكریمتان التاليتان تُؤكِّدان هذه الحقيقة :

﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ

فَلَا قُطِعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا

أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ [طه : ٧١]

﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ

تَعْمُونَ ﴾ لَا قُطِعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أُصَلِّبَنَّكُمْ أَصْلَابُكُمْ ﴾ [الشعراء : ٤٩]

.. وفي الآية (٧١) في سورة طه ، نرى العبارة القرآنية ﴿ وَلَا أُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ

النَّخْلِ ﴾ وذلك بورود كلمة ﴿ فِي ﴾ وليس كلمة (على) ، ولا يمكن لكلمة ﴿ فِي ﴾ أن

تكون بمعنى كلمة (على) ، وفي هذا دليل على أن الصلب لا يعني مجرد الوضع على

الصليب ، إنما يعني الموت من على الصليب ، فالعبارة القرآنية ﴿ وَلَا أُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ

النَّخْلِ ﴾ تعني الموت صلباً ﴿ وَلَا أُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ وذلك من خلال كونهم محاطين في جذوع

النخل ﴿ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ ..

.. وفي ذات السياق نفهم كلمة ﴿ يُصَلِّبُونَ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَأُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣]

.. وهكذا ففي حين تحمل دلالات الفعل الثلاثي (صَلَّبَ) معنى كون الصليب بداية خروج المصلوب إلى الحياة الآخرة ، فإن دلالات الفعل الرباعي (صَلَّبَ) تحمل معنى كون الصليب نهاية خروج المصلوب إلى الحياة الآخرة ، لأنَّ مُقدِّمات موت المصلوب كانت من خلال التعذيب وفعل كلِّ ما يُؤدِّي إلى الموت قبل الوضع على الصليب ..
.. ولما كانت كلمة ﴿ الصُّلْبِ ﴾ اسمَ صفة ، وليست اسمَ ذات لمكان محدد في جسم الإنسان .. ومن خلال ربطها بالسياق القرآني المحيط بها .. واستقراء من دلالات الجذر (ص ، ل ، ب) في كتاب الله تعالى .. نرى أنَّها تعني : الخطَّ الثابت الحامل للصفات المتوارثة من آدم عليه السلام إلى الأجداد إلى الآباء إلى الأبناء ، والذي من خلاله يخرجُ الإنسانُ (عبر سرِّ الحياة الدافق عبر الأجيال كما رأينا) إلى عالم الدنيا ، الذي هو العالم الآخر بالنسبة لمرحلة ما قبل خروج الإنسان إلى الدنيا ..

.. إذا .. في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥٠﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٥١﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٥٢﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٥٣﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٥٤﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ٥ - ١٠]

.. نرى أنَّ الآية الكريمة : ﴿ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ ، تصف خروج الإنسان (أو الماء الدافق كسرَّ للحياة يُخلق منه المنى الذكري والأنثوي) ، وذلك ، من بين الخطَّ الثابت للصفات الوراثية الذي هو : ﴿ الصُّلْبِ ﴾ ، والممتدُّ من آدم عليه السلام إليه ، وبين الصفات المختلفة المكتسبة والطفرة الطارئة ، التي يحملها الإنسان خارج

محور : ﴿ الصُّلْبِ ﴾ الذي خرج إلى الدنيا من خلاله ، وبالتالي تُوصَفُ هذه الصفات المكتسبة والظفرات الطارئة بـ ﴿ وَالرَّأْيِ ﴾ ، أي بالضعف والتفتت وعدم الثبات ، وذلك مقارنةً مع الصفات التي يحملها الإنسان من محور الصُّلْبِ الذي خرج من خلاله إلى الدنيا .. فكلمة ﴿ وَالرَّأْيِ ﴾ هي من الجذر (ت ، ر ، ب) ، ودلالات هذا الجذر تعني كما سنرى بإذن الله تعالى : النعومة واللين والضعف والتفتت وهكذا .. فالصُّلْبُ هو الخطُّ الثابتُ الممتدُّ من آدمَ عليه السلام إلى الإنسان ، حيثُ يخرجُ الإنسان من خلاله إلى حياةٍ أُخرى (الحياة الدنيا) ، تماماً كما أنَّ الصليبَ أداةٌ ثابتةٌ يخرجُ من خلالها المصلوبُ عليه من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى ولما كان لكلِّ إنسانٍ صُلبُهُ الذي يخرجُ منه أولادُه إلى الدنيا ، فإنَّ لمختلف البشرِ أصلابهم التي تلتقي جميعها عند آدمَ عليه السلام ، والتي يخرجُ منها أولادهم ..

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُتِ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾

النساء : ٢٣]

.. إذا .. الجزم بأنَّ قوله تعالى ﴿ مَخْرُجٌ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالرَّأْيِ ﴾ يعني خروج المني (٢٣ كروموسوم) من بين الظهر والصدر ، هو جهلٌ بدلالات كتاب الله تعالى ، وبثوابت العلم .. وبالتالي هو إساءة لكتاب الله تعالى ، سواء كان ذلك عن قصد ، أو عن

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤٧

غير قصد .. وسواء كان من يجزم بذلك معتبراً نفسه ناطقاً رسمياً باسم الله تعالى كما يتوهم بعضهم ، أم قادحاً في كتاب الله تعالى ..

.. وكلمة ﴿ دَافِقٍ ﴾ هي من الجذر (د ، ف ، ق) ، وليس لهذا الجذر في كتاب الله تعالى أيُّ مشتق ، إلا هذه الكلمة ، ونراها اسم فاعل ، فالدق مستمرٌ عبر الأجيال إلى قيام الساعة فالماء المهين الذي يُخلق منه المني الذكري والانثوي ، مستمرٌ في تواصله (دفعه) كسرٍ للحياة عبر الأجيال إلى قيام الساعة ..

.. إذاً .. في كتاب الله تعالى ، عبارت الخلق من ماء مهين ودافق ، تصوّر خلق الجسم البشري الهابط ، من سرّ الحياة المتوارث من الجسم الهابط لآدم وزوجه بعد أكلهما من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها .. وعبارة الخلق من الماء ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾ تصف كما رأينا خلق الجسم الأوّل لآدم قبل هبوطه كقيمة خلقية .. ولذلك نرى في كتاب الله تعالى تكامل هذه العبارات في معياره معجزة إحدى الكُبر ..

$$\begin{aligned} & \langle \text{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا} \rangle \quad [\text{الفرقان : ٥٤}] = 134 \\ & \langle \text{ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ} \rangle \quad [\text{السجدة : ٨}] = 155 \\ & \langle \text{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ} \rangle \quad [\text{المرسلات : ٢٠}] = 93 \\ & \langle \text{خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ} \rangle \quad [\text{الطارق : ٦}] = 93 \end{aligned}$$

$$25 \times 19 = 475 = 93 + 93 + 155 + 134$$

.. من كلّ ما سبق .. وصلنا إلى نتيجة ، أنّ الماء المهين والدافق المعني في كتاب الله تعالى ، هو ما ينتقل عبر أجساد البشر أباً عن جد ، من سرّ التكاثر الذي جعله الله تعالى

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤٨

أصلاً يُخلَقُ منه المني الذكري والأنثوي ، ذلك المني الذي هو اللبنة الأولى في خلق جسم الإنسان ..

.. المني الذكري والأنثوي ذُكر في كتاب الله تعالى في الآيات التالية ..

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ ﴿ ٥٨ - ٥٩ ﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٥٩]

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ ﴿ ٤٥ - ٤٦ ﴾ [النجم: ٤٥ - ٤٦]

﴿ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ ﴿ ٤٦ ﴾ ﴿ مَنِيَّ يُمْنِي ﴾ ﴿ ٤٧ ﴾ ﴿ ثُمَّ كَانَ

عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٣٨]

.. وهذه الكلمات [﴿ تُمْنُونَ ﴾ ، ﴿ تُمْنِي ﴾ ، ﴿ مَنِيَّ ﴾ ، ﴿ يُمْنِي ﴾] هي

من الجذر (م ، ن ، ي) .. ودلالات هذا الجذر تدور في إطار جمع الرغبة وطلبها .. فالأماي هي الرغبات الذاتية والأهواء التي تطلبها الذات وتريدها ..

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨]

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا

بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]

﴿ وَأَرْبَبْتُمْ وَعَرَّيْتُمْ الْأَمَانِيَّ ﴾ ﴿ ١٤ ﴾ [الحديد: ١٤]

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: ١٢٣]

.. وتمنى الشيء ، رغبه لذاته وأراده وطلبه ..

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤٩

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٩٤ - ٩٥]

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣٢]
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ
..... ﴾ [الحج : ٥٢]

.. ومنى الآخر ، رغبه بأمر ليريده ويطلبه ..

﴿ وَلَا ضِلَّوهُمْ وَلَا مَيِّنْهُمْ وَلَا مَرْئَهُمْ فَلْيُبْتِئِكُنَّ إِذَا نَبَأَ الْأُنثَى وَلَا مَرْئَهُمْ
فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُبينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء : ١١٩ - ١٢٠]

.. من هنا نرى أن النشأة الأولى للإنسان ، تكون من خلال الجمع برغبة بين الذكر
والأنثى ، حيث المني الذكري والإنثوي يُجمعان بهذه الرغبة ، فتتكوّن النطفة .. وفور
اجتماعهما يتحدّد جنس المولود ، ذكراً كان أم أنثى ، وهذا ما نقرؤه في قوله تعالى ..

﴿ وَأَنْهَرُ خَلْقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ
الْآخِرَى ﴾ [النجم : ٤٥ - ٤٦]

.. فالآية الكريمة ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ تعني : من نطفةٍ حينما تتكوّن بجمع رغبتى
الذكر والأنثى ﴿ إِذَا تُمْنَى ﴾ .. أي باجتماع الحيوان الذكري (٢٣ كروموسوم) مع
البويضة الأنثوية (٢٣ كروموسوم) .. وحين ذلك تبدأ النشأة الأولى ، وفور تكوين هذه

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥٠

النطفة من عنصرها الذكري والأنثوي لتصبح (٤٦) كروموسوم ، يتحدّد جنس المولود .. فالنطفة كما نرى هي اجتماع الحيوان الذكري مع البويضة الأنثوية ..

.. وهذا المني الذي يمنيه الإنسان عبر طبيعته الجنسيّة ، هو من خلق الله تعالى ، وهو بداية النشأة الأولى التي يعلمها الإنسان .. هذه النشأة الأولى ، يريد الله تعالى منّا أن تكون تذكرة للنشأة الآخرة ..

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْأَمْوَاتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٨ - ٦٢]

.. هذا المعنى القرآني للمني ، وللنطفة ، يتجلّى معنا في قوله تعالى ..

﴿ أَحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَمَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٦ - ٤٠]

.. فالنطفة تتكوّن من مني (ذكري وأنثوي) يُجمَع برغبة ﴿ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ ، وهي بداية النشأة الأولى للإنسان : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ .. وكنا قد رأينا أنّ تحديد جنس الجنين بالذكورة والأنوثة يكون ببداية الخلق الذي هو تكوين النطفة (٤٦) كروموسوم) من اجتماع الحيوان الذكري (٢٣ كروموسوم) مع البويضة (٢٣ كروموسوم) : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم : ٤٥ - ٤٦] ..

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥١

.. هنا في سورة القيامة .. نرى أنه بعد تكوين النطفة : ﴿ نُطْفَةٌ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ ،

حيث يتحدد جنس المولود ببداية الخلق .. بعد ذلك .. هناك مرحلة هي : ﴿ ثُمَّ كَانَ

عَلَقَةً ﴾ ، وبعد ذلك هناك مرحلة هي : ﴿ فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾ .. بعد ذلك .. تتمايز

الأعضاء الجنسية ما بين الجنين الذكر والجنين الأنثى : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ

وَالْأُنثَى ﴾ .. وهذا عبر القرآن الكريم عنه بكلمة ﴿ فَجَعَلَ ﴾ .. بينما عند تحديد جنس

المولود نرى أن التعبير جاء بصيغة الخلق ﴿ وَأَنذَرُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ من

نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ..

.. وفي حين رأينا سابقاً في الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُمْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴾

[السجدة : ٨] ، أن كلمة ﴿ نَسْلَهُمْ ﴾ تتكامل مع كلمة ﴿ نُطْفَةٍ ﴾ ..

$$\frac{٢٧}{٤٩} = \frac{نُطْفَةٍ}{نَسْلَهُمْ} ، ، \frac{٢٧}{٤٩} = \frac{نُطْفَةٍ}{نَسْلَهُمْ}$$

$$٢٧ + ٤٩ = ٧٦ = ٤ \times ١٩$$

.. نرى أيضاً في العبارة القرآنية ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ [القيامة : ٣٧] ،

أن كلمة ﴿ نُطْفَةٍ ﴾ تتكامل مع العبارة القرآنية ﴿ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ ..

$$\frac{٢٧}{٤٩} = \frac{نُطْفَةٍ}{مَنِيٍّ يُمْنَى} ، ، \frac{٢٧}{٤٩} = \frac{نُطْفَةٍ}{مَنِيٍّ يُمْنَى}$$

$$٢٧ + ٤٩ = ٧٦ = ٤ \times ١٩$$

وبالتالي نرى التوازن التالي ..

$$\frac{٢٧}{٤٩} = \frac{نُطْفَةٍ}{مَنِيٍّ يُمْنَى} ، ، \frac{٢٧}{٤٩} = \frac{نَسْلَهُمْ}{مَنِيٍّ يُمْنَى}$$

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥٢

.. فالنسل : ﴿ نَسْلُهُ ﴾ ، الذي يكون من خلال : ﴿ مَنِيٍّ يُمْنِيٍّ ﴾ ، جعله الله تعالى من : ﴿ سُلَالَةٍ ﴾ ، من : ﴿ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ .. وهذا هو ما نراه في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ [السجدة : ٨] .. حيث الماء المهين ليس السائل الحامل للمني كما اعتقدوا ، وليس المني ، إنما هو سرّ الحياة المتوارث من الجسم الهابط ، والذي منه جعلت السلالة ، التي منها جعل النسل ، الذي يبدأ بالنطفة ، التي هي اجتماع المني الذكري والأنثوي ..

.. لذلك .. نرى في كتاب الله تعالى أن خلق الإنسان المتعلق بالنطفة ، لم يُسبق إلاّ بمرحلة التراب والطين ، فبداية الإنسان (٤٦ كروموسوم) تبدأ بـ ﴿ نُطْفَةٍ ﴾ التي هي اجتماع مني الرجل (٢٣ كروموسوم) مع مني المرأة الذي هو البويضة (٢٣ كروموسوم) : ﴿ مَنِيٍّ يُمْنِيٍّ ﴾ .. ومن المعلوم أن وصف الخلق من تراب ومن طين يتعلّق بخلق جسم آدم أبي البشرية وهذه النصوص القرآنيّة الحاملة لكلمة ﴿ نُطْفَةٍ ﴾ ، حيث ترد (١٢) مرّة في كتاب الله تعالى ..

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [النحل : ٤]
﴿ أَكْفَرْتِ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ [الكهف : ٣٧]
﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ ﴾ [الحج : ٥]
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾
﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ﴾ [المؤمنون : ١٢ - ١٤]
﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [فاطر : ١١]

﴿ أَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [يس : ٧٧]

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ [غافر : ٦٧]

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٦﴾ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ [النجم : ٤٥ - ٤٦]

﴿ أَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً ﴾ [القيامة : ٣٦ - ٣٧]

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ [الإنسان : ٢]

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ [عبس : ١٨ - ١٩]

.. ولما كانت العبارة القرآنية : ﴿ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [الإنسان : ٢] ، تصف النطفة من

زاوية كونها اختلاطاً للمني الذكري والأنثوي ، وهي الصيغة الوحيدة في كتاب الله تعالى
المصوّرة لذلك .. فإتنا نراها مسألة كاملة ..

$$﴿ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ = ٩٥ = ١٩ \times ٥$$

.. وفي هذا البحث ، نقف فقط عند مراحل ما قبل خلق النطفة ، عند صيغ الخلق من

تراب ، ومن طين ، ومن صلصال من حمأ مسنون ومن صلصال يشبّهه الله تعالى بالفخار ..
لنرى كيف أنّ كلّ هذه الصيغ تتعلّق بخلق الجسم البشري الأوّل (جسم آدم عليه
السلام) ، وبعد ذلك وراثته الجسم البشري لذلك ..

.. مشتقات الجذر (ت ، ر ، ب) تعني : النعومة والضعف والتفكّك واللين وعدم

التماسك .. وكنا قد رأينا كيف أنّ كلمة ﴿ وَالرَّأْيِبِ ﴾ تقابل كلمة ﴿ الصُّلْبِ ﴾ ،
لتعني الحالات الطارئة من الطفرات الضعيفة والمفكّكة ، أمام خط الصفة الوراثي الآتي عن
طريق الصلب من آدم عليه السلام إلى الإنسان ..

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥٤

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥٠﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٥١﴾ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَلْصُلْبِ

﴿ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق : ٥ - ٧]

.. وصفة الضعف ، والتفكك ، والنعومة ، وعدم التماسك ، وعدم الثبات ، نراها في

كلمة ﴿ تَرَابٌ ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ

النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴿٢٦٤﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴿٢٦٥﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦٤]

وهذه الصفة من الضعف كفقر شديد ، نراها في كلمة : ﴿ مَرْتَبَةٌ ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ

ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَمْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [البلد : ١١ - ١٦]

.. وصفة النعومة واللين وعدم القساوة ، نراها في كلمة ﴿ أُتْرَابًا ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارِجًا ﴿٣١﴾ حُدَّاقٍ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أُتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [النبا : ٣١ - ٣٢]

.. ونراها أيضاً في كلمتي ﴿ أُتْرَابٌ ﴾ ،، ﴿ أُتْرَابًا ﴾ [] في قوله تعالى ..

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَنْصَرَةٌ مِنَ الْأُتْرَابِ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ ﴾

ص : ٥٢ - ٥٣]

﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُمْ أَمْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أُتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة : ٣٥ - ٣٧]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥٥

.. فكلمة ﴿ تَرَابٌ ﴾ ليست مجرد اسم ذات لموادّ محدّدة بعينها ، كما يتخيّل الكثيرون .. لا شكّ أنّ الموادّ الناعمة على وجهه الأرض ، المفكّكة وغير المترابطة والناعمة ، تسمّى ﴿ تَرَابٌ ﴾ .. لكن .. كلمة ﴿ التُّرابُ ﴾ تصف جانب التفكّك والنعومة وعدم التماسك واللين والضعف في المواد الموصوفة الموجودة فوق سطح الأرض .. لذلك .. ليس من المصادفة أن ترد في كتاب الله تعالى مرّة واحدة ، لتصف هذه الموادّ المفكّكة الناعمة غير المتماسكة على وجه الأرض ..

﴿ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٩]

.. لكن .. في وصف خلق الإنسان ، لا ترد هذه الكلمة إلا نكرة ﴿ تَرَابٌ ﴾ .. بمعنى : من ضعف ولين وعدم تماسك .. وهذا لا يعني أنّنا نقول بأنّ جسم آدم عليه السلام (والجسم البشري من بعده) لا يدخل فيه عنصر التراب المعروف .. أبداً .. ما نعيه .. أنّ الموادّ التي دخلت في تركيب جسمه هي من موادّ الأرض ، وتتّصف باللين والنعومة والتفكّك ، وهي جزء من تركيبه جسمه ، حيث هناك الماء كما نعلم ، والذي جعلت منه الحياة ..

.. وكنا قد بيّنا أنّ الله تعالى خلق آدم وزوجه وعيسى عليهما السلام ، من تراب مباشرة ، وليس كباقي البشر الذين تدخل عناصر التراب في أجسامهم ، كونهم ورثوا هذا عن الجسم الأوّل ، فيدخل التراب في أجسامهم من خلال غذائهم ..

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩]

.. آدم وزوجه وعيسى عليهم السلام خلقوا مباشرة من تراب ، بينما باقي البشر خلقوا من تراب من خلال سلالة من ماء مهين ، لتدخل عناصر التراب في أجسامهم من خلال غذائهم ..

.. لذلك نرى أن النصوص القرآنية التي بيّن الله تعالى فيها أنه خلق البشر من تراب ، تعني خلق جسد آدم عليه السلام كأب للبشرية ، ومن ثمّ وراثه البشر لناموس الخلق هذا ، من خلال سلالة من ماء مهين كما رأينا ، ليكون تعلّقهم بالخلق من تراب ، من خلال وراثتهم للجسم الأوّل ، وعبر طعامهم الذي هو في النهاية من مكونات تراب الأرض ..

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ

ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف : ٣٧]

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [الحج : ٥]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تانتشرون ﴾ [الروم : ٢٠]

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [فاطر : ١١]

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ [غافر : ٦٧]

.. وفي كتاب الله تعالى نرى أن العبارات القرآنية المصوّرة لجوهر خلق الجسم الأوّل

من تراب ، حيث ورث الجسم البشري ذلك ، هي مسألة كاملة ..

﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران : ٥٩] = ١٤١

﴿ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الكهف : ٣٧] = ٨٢

﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الحج : ٥] = ١٠٧

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الروم : ٢٠] = ١٢٧

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [فاطر : ١١] = ١٠٣

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [غافر : ٦٧] = ١٢٤

$$١٤١ + ٨٢ + ١٠٧ + ١٢٧ + ١٠٣ + ١٢٤ = ٦٨٤ = ٣٦ \times ١٩$$

.. وفي نصوص قرآنية أخرى نرى تصويراً بالخلق من طين .. من طين وليس من الطين ،
 ، فيما أن خلق الجسم الأول - كما رأينا - كان من تراب وليس من التراب ، وبما أن
 الطين هو مزج التراب مع الماء ، وآدم عليه السلام خلق (كباقي الكائنات الحية) من الماء ،
 ، نرى أن القرآن الكريم يصف خلق الجسم الأول ومن بعده ميراث هذا الناموس لأبنائه
 بالصفة (الماء + تراب = طين) .. فالوصف جاء بكلمة **[[طين]]** ، **[[طيناً]]**
 وليس بكلمة (الطين) ..

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ﴾ [الأنعام : ٢]

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢]

﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء : ٦١]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٢]

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ [السجدة : ٧]

﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١]

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴾ [ص : ٧١]

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص : ٧٦]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥٨

.. حتّى الحجارة المسوّمة التي أرسلت عذاباً من الله تعالى ، كونها ليست من ذات ما نراه بجواسننا من مزج التراب والماء ، نراها وصفت بكلمة ﴿ طِينٍ ﴾ ..

﴿ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً

عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿ [الذاريات : ٣٢ - ٣٤]

.. لكن .. ما أوقد عليه همامان ليجعل صرحاً لفرعون ، هو ﴿ الطين ﴾ ، بمعنى التراب ذاته المعروف ، ممزوجاً بالماء ..

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا آتَمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَمُنْ

عَلَى الطين فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ مِنْ

الْكاذِبِينَ ﴿ [القصص : ٣٨]

.. وهذه الصيغة المعرّفة بأل التعريف ، نراها أيضاً في الطين الذي كان يستخدمه عيسى عليه السلام في خلقه بإذن الله تعالى للطير ..

﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِغَايَةِ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ

مِنَ الطين كَهَيْئَةِ الطير فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿ [آل عمران : ٤٩]

﴿ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطين كَهَيْئَةِ الطير بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴿ [المائدة

: ١١٠]

.. فما كان يستخدمه عيسى عليه السلام هو هذا التراب ذاته ممزوجاً بالماء .. لذلك

نرى ورود كلمة ﴿ الطين ﴾ معرّفة بأل التعريف ..

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥٩

.. إذا .. جسم آدم الأوّل ومن بعده أجسام ذريّته كميراث لناموس خلق جسم أبيهم

عبر سلالة يتوارثونها ، خلُق من الماء كما رأينا ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ

نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] .. وهذا الماء عندما يمتزج بتراب ،

يكون طيناً ، ولذلك رأينا نصوصاً قرآنيّة تصوّر الخلق من تراب ، ونصوصاً قرآنيّة تصوّر

الخلق من طين .. وكنا قد رأينا التكامل بين كلمة ﴿ الْمَاءِ ﴾ وكلمة ﴿ تُرَابٍ ﴾ ،

كوهما المادّتين الأساسيتين في خلق الجسم الأوّل (جسم آدم) كما رأينا ..

$$\underline{29} = \langle \text{تُرَابٍ} \rangle ، ، \underline{9} = \langle \text{الْمَاءِ} \rangle$$

$$\underline{29} + 9 = 38 = 2 \times 19$$

.. وفي كتاب الله تعالى نرى أنّ العبارات القرآنيّة التي تلقي الضوء على جوهر الخلق

من طين ، هي مسألة كاملة ..

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأنعام : ٢] = ١٣٠

﴿ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] = ١٠١

﴿ قَالَ ۖ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء : ٦١] = ١٦١

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٢] = ١٧٧

﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ [السجدة : ٧] = ١٣٤

﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١] = ١٣٣

﴿ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾ [ص : ٧١] = ١٢٧

﴿ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص : ٧٦] = ١٠١

٦٠ المهندس عدنان الرفاعي ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾

$$= 1064 = 101 + 127 + 133 + 134 + 177 + 161 + 101 + 130$$

$$56 \times 19$$

.. وكون الخلق من ﴿طِينٍ لَّازِبٍ﴾ ، يصف مسألة مميّزة هي الوحيدة المذكورة بهذه الحيشية في كتاب الله تعالى ، وتصوّر تفصيلاً في هذا الخلق من طين ، نرى أن العبارة القرآنية الحاملة لذلك ، وحدها مسألة كاملة ..

$$7 \times 19 = 133 = [\text{الصفات : 11}] \langle \text{إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ} \rangle$$

.. حتى الآن .. الآيات الكريمة التي وقفنا عندها تتناول المادتين اللتين خلّق منهما الجسم الأوّل ، وهما الماء ، وتراب ، حيث يُنتج جمعهما مع بعضهما طيناً .. لكن هذه المادة المركّبة من : الماء + تراب ، والتي عبّر عنها القرآن الكريم بكلمة ﴿طِينٍ﴾ ، تعرّضت - في عملية الخلق - إلى تحوّل سريعٍ منهجٍ ﴿مَسْنُونٍ﴾ ، باتجاه النتن الحامل للرائحة المختلفة ﴿حَمِئٍ﴾ ، وذلك في بداية تكوّن الصلصال .. بمعنى : تؤخذ مادة الخلق في هذه المرحلة من استعجال حالة الصلصال حيث يكون نتناً ، قبل اكتمال تحوّله .. هناك حالة تغيرٍ سريعةٍ منتنة تكون جزءاً من مرحلة الصلصال ، وتكون قبل أوان اكتمال مرحلة تحوّله .. حيث يكون الصلصال في بداية تحوّله وقبل اكتمال هذا التحوّل نتناً .. هذه الحالة يصفها القرآن الكريم بالعبارة : ﴿صَلْصَلٍ مِنْ حَمِئٍ مَّسْنُونٍ﴾ .. بمعنى : يُخلق من : ﴿صَلْصَلٍ﴾ ، من حالة النتن : ﴿حَمِئٍ﴾ ، المحكوم بنهج التحوّل والتغيّر : .. ﴿مَسْنُونٍ﴾ ..

.. لذلك لا نرى في كتاب الله تعالى نصوصاً تبيّن لنا خلقاً من مرحلة مستقلة من حمياً مسنون .. فجميع النصوص الحاملة للخلق من حمياً مسنون ، نراها تصوّر الحمياً المسنون

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٦١

كحالة يتحوّل منها الصلصال .. فلم ترد العبارة ﴿ حَمِئٌ مَسْنُونٌ ﴾ إلا متعلّقة في سياقها بكلمة ﴿ صَلَّصَلٍ ﴾ .. وذلك بالصيغة : ﴿ صَلَّصَلٍ مِنْ حَمِئٍ مَسْنُونٍ ﴾ ..

.. هذه الحالة السريعة من التحوّل ، في بداية تكوّن مرحلة الصلصال قبل اكتمال تحوّل

، حيث تُؤخذ مادة الصلصال قبل أوان اكتمال تحوّلها ، تصوّرُها العبارة القرآنيّة : ﴿ خُلِقَ

الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : ٣٣] .. فالعجلة .. هي طلب الشيء قبل أوانه ..

وهذه العجلة ، هي في مرحلة الصلصال قبل أوان اكتماله ... بمعنى .. هناك مرحلة من الخلق تكون من حالة التغيّر السريع المتّين من الصلصال قبل اكتمال تحوّلها ، بمعنى : من

طلب حالته قبل اكتمالها ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، وذلك في طريق تحوّل هذا الصلصال إلى

حالته ﴿ صَلَّصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ..

.. وفي العبارة القرآنيّة : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، نرى أنّ الله تعالى لم يقل :

(خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً) ، أو : (خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَلَى عَجَلٍ) أو : (خُلِقَ الْإِنْسَانُ فِي

عَجَلٍ) .. أبداً .. الله تعالى يقول : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ .. فالخلق المعني في

هذه العبارة القرآنيّة هو : ﴿ مِنْ ﴾ حالة تغيّر سريع ﴿ عَجَلٍ ﴾ تؤخذ كما رأينا من

الصلصال قبل أوان اكتمال تحوّلها ..

.. وكما قلنا .. لا نرى في كتاب الله تعالى نصّاً يصرّحُ مرحلةً مستقلّةً من الخلق من

حميئاً مسنوناً وحده ، كما هو الحال في الخلق من الماء ، ومن تراب ، ومن طين ، ومن

صلصال كالْفَخَّارِ .. فجميع النصوص القرآنيّة التي تصف الخلق من حميئاً مسنوناً تتعلّق

بالصلصال ﴿ صَلَّصَلٍ مِنْ حَمِئٍ مَسْنُونٍ ﴾ ..

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٦٢

.. نرى في كتاب الله تعالى ثلاثة نصوص قرآنية تصوّر هذه الحالة التي يتمّ فيها الخلق من عجل ، حيث تُؤخذ المادّة من حالة الصلصال المنتنة قبل أوان اكتمال تحوّل الصلصال وصولاً لحالته كالفخار .. ونرى في هذه النصوص ورود صيغة النكرة ، سواء لكلمة صلصال ، أم للعبارة حمياً مسنون ، وذلك على غرار ورود كلمتي تراب وطين بصيغة النكرة كما رأينا .. ونرى أنّ هذه النصوص تتكامل مع العبارة القرآنية ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦] = ٢١٧
 ﴿ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٧] = ٢٠٠
 ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٣٣]

= ٢٩٩

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : ٣٣] = ١٠١

$$٤٣ \times ١٩ = ٨١٧ = ١٠١ + ٢٩٩ + ٢٠٠ + ٢١٧$$

.. وما نراه أنّ مرحلة الخلق من صلصال (بعد اكتماله) ترد مستقلة في كتاب الله تعالى ، ونراها ترد بصيغة النكرة شأنها شأن الخلق من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون .. لكن .. المشبه به ﴿ كَالْفَخَّارِ ﴾ نراه بصيغة المعرفة ... ومرحلة الخلق من صلصال (بعد اكتمال تحوّل) ترد مرّة واحدة في كتاب الله تعالى ، كمسألة كاملة ..

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] = ١٧١ = ٩ × ١٩

.. إذاً .. الخلق من الماء .. والخلق من تراب .. والخلق من طين .. والخلق من عجل تؤخذ فيه المادّة من حالة الصلصال المنتنة قبل أوان اكتمال تحوّل ، والخلق من صلصال

كالفخَّار .. كلُّ ذلك تصوير لمراحل خلق الجسم الأوَّل .. وتصوير لحقيقة أجسامنا التي ورثت هذا الناموس من خلال سلالة وراثية كما بيَّنا ..
 .. هذه الحقائق القرآنية هي غيب بالنسبة لخلق الجسم الأوَّل لأبينا آدم .. فالله تعالى يقول ..

﴿ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِينَ الْمُضَلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : ٥١]

.. لكن .. من خلال كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) ، علمنا هذه المراحل من خلق جسم آدم عليه السلام .. ومن خلال كتاب الله تعالى المنشور (الكون الذي نعيش فيه) نرى إشارة إلى هذه المراحل .. فالموت عكس الحياة .. ولو نظرنا إلى جسم من يموت بيننا ، لرأينا أنه يسير في تفسُّخه عكس مراحل خلق الجسم الأوَّل تماماً ..
 .. فخروج النفس من الجسم (خروجاً نهائيّاً) الذي هو أوَّل مرحلة بعد الموت ، يقابل سكن النفس في الجسم بعد اكتمال خلقه ، والذي هو آخر مرحلة في الخلق ..

.. وتصلَّب الجسم .. يقابل مرحلة ﴿ صَلَّصَلِ كَالْفَخَّارِ ﴾ ..

.. وما يتبعه ذلك مباشرة ، من إنتان للجسم وخروج الروائح الكريهة منه .. يقابل مرحلة ﴿ صَلَّصَلِ مِنْ حَمِيمٍ مَسْتُونٍ ﴾ ..

.. وتحلَّل الجسم إلى عنصريه الأساسيين ، وهما كما رأينا (الماء + تراب) .. يقابل مرحلة الخلق ﴿ مِنْ طِينٍ ﴾ ..

.. وفي النهاية .. يتبخَّر الماء ، ويبقى تراب الأرض فيها .. وهذا ما يقابل الخلق ﴿ مِنْ مِّنْ ﴾

﴿ الْمَاءِ ﴾ ، والخلق ﴿ مِنْ تُّرَابٍ ﴾ ..

.. فقصة الخلق الأول لجسم أينا آدم عليه السلام ، موجودة في كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) .. وموجودة أيضاً في كتاب الله تعالى المنشور (الكون) .. لكن .. لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

المهندس
عدنان
الرفاعي